

# مهرجان القراءة للجميع

الروائع

مكتبة  
الأسرة  
1999

## نارثك الملائكة

المختار  
من شعر



الهيئة المصرية  
العامة للكتاب

اهداءات ٢٠٠٢

أسرة المرحوم/شارل كوتييه  
الاسكندرية

المختار من شعر نازك الملائكة

---

---

**بالتعاون مع منظمة اليونسكو**  
**(كتاب فى جريدة)**

---

---

المختار من شعر  
نازك الملائكة

إعداد وتقديم

د. سمير سرحان د. محمد عناني



## مهرجان القراءة للجميع ٩٩

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك  
(سلسلة الروائع)

المختار من شعرائك الملائكة

إعداد وتقديم: د. سمير سرحان د. محمد عناني

الجهات المشاركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة التنمية الرياضية

المجلس الأعلى للشباب والرياضة

التنفيذ: هيئة الكتاب

الغلاف

والإشراف الفني:

الفنان: محمود الهندي

المشرف العام:

د. سمير سرحان

## على سبيل التقديم

---

وتمضى قافلة «مكتبة الأسرة» طموحة منتصرة كل عام،  
وها هى تصدر لعامها السادس على التوالى برعاية كريمة  
من السيدة سوزان مبارك تحمل دائماً كل ما يثرى الفكر  
والوجدان ... عام جديد ودورة جديدة واستمرار لإصدار  
روائع أعمال المعرفة الإنسانية العربية والعالمية فى تسع  
سلاسل فكرية وعلمية وإبداعية ودينية ومكتبة خاصة  
بالشباب. تطبع فى ملايين النسخ التى يتلقفها شبابنا  
صباح كل يوم .. ومشروع جيل تقوده السيدة العظيمة  
سوزان مبارك التى تعمل ليل نهار من أجل مصر الأجل  
والأروع والأعظم.

د. سمير سرحان

---





## تصدير

تقدم مكتبة الأسرة هذا العام مختارات من شعر الشاعرة الكبيرة نازك الملائكة التي ارتبط اسمها بحركة التجديد فى الشعر العربى الحديث ، وأصبحت نظرياتها الرائدة فى شعر التفعيلة (أو الشعر المرسل) و «البحور الصافية» من أسس الإبداع الشعرى فى مرحلة «ما بعد أبولو» التى ازدهرت فى الخمسينيات والستينيات وحتى السبعينيات ، ولذلك حرصت مكتبة الأسرة على إدراج قصائد من دواوينها **(عاشقة الليل)** و **(قرارة الموجة)** و **(شظايا ورماد)** ، وهى مرتبة هنا وفقاً لتاريخ تأليفها ، وتمتد من عام ١٩٤٤ إلى عام ١٩٥٢ ، أى إن هذه القصائد تمثل تيار التجديد الرئيسى ، ويتضح فيه التجديد فى الشكل وفى الموضوعات ، بصورة تؤكد أنها كانت واعية تماماً لما تفعل على مر تلك السنوات التسع ، وإن كانت قد أفصحت عن ذلك الوعى والقصد فى بعض مقدماتها وفى كتاباتها النقدية فيما بعد .

ولقد درج جيلنا على اعتبار هذا التيار «طبيعياً» دون أن يقدر مدى التجديد الذى استحدثه أولئك الرواد منذ أن ترجم على أحمد باكثير مسرحية روميو وجولييت لشيكسبير فى منتصف الثلاثينيات بالشعر المرسل ، ولكن الواقع هو أن رواد «الشعر الجديد» قاموا بثورة فنية شملت معظم معالم الشعر العربى المعاصر ، ونذكر كيف هزتنا قصيدة القطار لنازك الملائكة حين قرأناها فى كتب النصوص الأدبية فى صبانا ، والآن تجتمع معها قصائد أخرى تختلف فى كل شىء تقريباً عن إبداعات شعراء البعث أو الإحياء (البارودى وشوقى وحافظ ومطران) وقد سبق لمكتبة الأسرة تقديم الشعراء الثلاثة الأوائل فى الأعوام السابقة ، وهى تقدم هذا العام شعر مطران أيضاً .

نرجو أن يستمتع القراء فى كل مكان بهذا الابداع الأصيل ،

والله من وراء القصد .

**مكتبة الأسرة**

## ١- شجرة الذكرى

مررتُ بها في المساءِ الدَّجِيّ  
فألقيتُ رَحْليَ في ظلِّها  
وحَدَّقْتُ في خَضِرِ أوراقِها ،  
وروحِي الكئيبةُ في ليلِها  
فهاجتُ لقلبي دُجِيّ الذِّكرياتِ  
وأترعتُ لحنيَ من ويلِها  
وصيرتُ مُتَكَايَ ساقِها  
وطافتُ شَجُونِي من حولِها

تذكرتُ ، والقلبُ في حُزْنِه  
وقوفيَ ، في ظلِّها السَّاحِرِ  
كأنَّ لم تمرَّ الليالي الطِّوالُ  
على أمسي المُبْعَدِ الدَّابِرِ

وقفتُ أكفكفُ دمعِي السخينَ  
وأصرخُ من ألمِي الأسـرِ  
أقصُّ على ظلتِّها قصَّتي  
وقصةَ شاعري الغادرِ

قصصتُ عليها الحديثَ الكئيبَ  
وفى يديَّ الشوكَةَ القاطعه  
أمرُّ بها ، والأسى غالبي  
على ساقها ، البرَّةُ الوادعة  
فيا ليديَّ جرحتُ ساقها  
وجدتُ أراها لأمعه  
كأنني بذاك جرحتُ الحياةَ  
وعاقبتُ أقدارها الخادعه

ومررتُ عليَّ السنينُ الطوالَ

وطالَ عنيَ يومنيَ الخـالـدُ  
فأبصرتُ فيه أسايَ البعيد  
يُحسُّ به قلبيَ الواجـدُ  
فقلتُ لقلبيَ : هيا نُطفِ  
بها ، وليُشرْ حزنُك الهامدُ  
سنسألُها اليومَ عن جُرحها  
ألم يَشـبـه الزمَنُ الأبد

وعُدتُ إليـها ، كأن لم تمرَّ  
على السنينُ وأقـدارُها  
فؤادي ما زال مستأسراً  
وروحِي ما أطفئت نارُها  
يُفـيئـني ظلُّها من جـديد  
وتحنو على القلبِ أزهارُها

فـيـا نـبـلـها ، صـفـحـتُ عـن يـدي  
 وـمـا زـال عـنـد يـدي ثـارُها  
 وـدـرتُ أسـائـلُ عـن جـرحـها  
 أـمـا دـمـلـتـه أكـفُ القـدَرُ ؟  
 فـلـم أَرَ الـأخـضـرارَ الحـيـاة  
 فـلـيـس عـلـيـهـا لـجـرحُ أثـرُ  
 وأـمـا جـراحُ فـؤـادـي الحـزـينُ  
 فـمـا زلـنَ يـشـكـونَ طـولَ الصـدَرُ  
 فـيـا عـجـباً للزـمـانِ المـسيءِ  
 مـتـى عـن إـسـاءـتـه يـعـتـذرُ ؟

١٤ - ٦ - ١٩٤٤

## ٢- السفر

أنا وحدي فوق صدر البحر يا زورقُ فارجعْ  
عَبَثاً أَنْتَظِرُ الْآنَ فَنجمي ليس يطلعْ  
هَبَّتِ الرِّيحُ عَلَى الْبَحْرِ الْجُنُونِيَّ الْمُرَوَّعْ  
فَلْتَعُدْ لِلشَّاطِئِ السَّاجِي بِقَلْبِي الْمُتَضَرِّعْ

عُدْ إِلَى الشَّاطِئِ ، عُدْ ، مَا عَادَ يَحْلُو لِي الْبَقَاءُ  
ذَهَبَ الْبَحْرُ بِأَصْحَابِي إِلَى حَيْثُ الضِّيَاءُ  
أنا وحدي ، أَيُّهَا الْمَلَّاحُ ، حُزْنٌ وَبُكَاءُ  
يَرْجِعُ الزُّورَقُ بِي وَحْدِي إِذَا جَاءَ الْمَسَاءُ

ذَهَبُوا لِلشَّاطِئِ الْمَسْحُورِ إِذْ عُدْتُ لَوْحْدِي  
ذَهَبُوا إِلَّا أَنَا ، عُدْتُ بِأَحْزَانِي وَسُهْدِي

لم أَصِْبُ في رحلتي إِلَّا صَبَابَاتِي وَجْهِي  
فليكن ، يا بحرُ ، هذا ، بالئني ، آخرَ عهدي

كيف يا بحرُ توارى الركعبُ خلفَ الجزُرِ ؟  
كيف يذوي في فؤادي الصَّبُّ حلُمُ السَّفَرِ ؟  
عزَّ يا بحرُ على موجك بُرءَ الصَّدَرِ  
فلأعدُّ ، لا رحمةَ الآنَ بقلبِ القَدَرِ

فلأعدُّ للساحلِ المظلمِ قلباً مُسْتَطَراً  
أدفنُ الحُلُمَ وأحيى زهرةَ وسطِ الصَّحارى  
أبدأُ أروي أناشيدي بأحزانِ الحيارى  
أبدأُ أحلُمُ بالفجرِ فلا ألقى النهارا

أيُّها الزُّورُ عُدْ بي ، لم يَعدْ ثَمَّةَ حلُمٍ  
قد مضى الرُّكْبُ ولن يُشرقَ في أفقي نَجْمُ  
ما الذي أرجو ومن حولي المساءُ المُدْلِمُ



والأعاصيرُ ، وأشباحُ الديّاجي ، والخِصَمُ هـ  
أيُّها الشّاطيءُ ، يا منّيعَ أحلامي ، ودّاعا  
سئِمَ المجدافُ في كَفِّي دَفْعاً وصِراعاً  
كيف ألقاكَ وقد مزّقتِ الرّيحُ الشّراعاً  
ورجائي فيكَ بَيْنَ المَوْجِ يا شاطيءُ ضاعاً

فلأعدّ ، لا سَفَرَ اليَوْمَ إلى الأفقِ الجميلِ  
لن أرى الشّاطيءَ ، لن أحلُمَ في ظلِّ النخيلِ  
وغداً رحلتيَ الكبرى إلى وادي الأُفولِ  
آه فلارحلْ إليهِ ، فلقد حان رحيلي

فودّاعاً أيُّها الركبُ ودّاعاً يا حياة  
أَنْ أَنْ يُطْفِئَ أفراحِي وأحزاني الممات  
أَنْ أَنْ تهجُرَ قيثاري وعودي النّغماتُ  
فسلامٌ أيُّها الموتُ ، سلامٌ يا رُفَاتُ

### ٣- مرثية غريق

أَيْهَا النَّهْرُ لَقَدْ جَاءَ الْمَسَاءُ  
وَمَشَى الصَّمُّ عَلَى الْمَوْجِ الْوَدِيعِ  
وَنَحَبَا فِي الْأَفْقِ الْحَالِي الضِّيَاءُ  
وَتَلَاشَى وَقَعُ أَقْدَامِ الْقَطِيعِ

سَكَنَ الْكَوْنُ سَوَى الْمَوْجِ الْمُدَوِّي  
بِأَسَاطِيرِ الْبُعْصُورِ الْخَالِيَاتِ  
لَمْ يَزَكْ يَشْكُو الْمَقَادِيرَ وَيَرْوِي  
أَبْدًا لِلْكَوْنِ أَسْرَارَ الْحَيَاةِ

إِيهْ يَا ضِفَّةً مَا ذَاكَ الْخِيَالُ ؟  
فَوْقَ صَدْرِ الْمَوْجِ ، تَحْتَ الظُّلُمَاتِ

أِلَهٌ قَدْ تَصَبَّأَهُ الْجَمَالُ ؟  
أَمْ غَرِيقٌ عَزَّهَ حَبْلُ النِّجَاةِ ؟

حَدِّثْنِي ، مَا أَرَى خَلْفَ السِّيَاحِ ؟  
فَهُوَ يَا ضِفَّةٌ فِي اللَّيْلِ مُرِيبُ  
مَا الَّذِي أُلْحُ فِي هَذَا الدِّيَاجِي ؟  
مَا تَرَاهُ ذَلِكَ الشَّيْءُ الْغَرِيبُ ؟

هَيْكَلٌ يَغْطُسُ حِيناً ثُمَّ يَطْفُو  
تَائِهَاتٍ تَحْتَ دَجَى اللَّيْلِ الْحَزِينِ  
بَشَرٌ هَذَا تَرَى ؟ أَمْ هُوَ طَيْفٌ ؟  
لَيْتَ شَعْرِي ، يَادِيَا جِي ، مَا يَكُونُ ؟

آه يَا شَاعِرْتِي ، هَذَا غَرِيقٌ  
فَاحْزَنِي لِلْجَسَدِ الْبَالِي الْمُمَزَّقِ

راقداً ، تحت الدياجي ، لا يُفِيقُ  
والسَّنا من حَوْلِهِ جَفْنٌ مُـوَرَّقٌ

يا لَيْتَ لِمَ يودَعُهُ قـُـرَيْبٌ  
فهو في النهر وحيدٌ متعبٌ  
ما بَكَى مَصْرَعَةً إِلَّا غَرِيبٌ  
هو قلبي ، ذلك المكتـُـئِبُ

يا رياحَ الليلِ رَفَقاً بالرُّفَاتِ  
واهْدأي ، لا تُثْقِلِي جِسْمَ الغَرِيقِ  
حَسْبُهُ ما مَزَقَتْ أَيْدِي الحَيَاةِ  
فليَكُنْ مِنْكَ لَهُ قَلْبٌ صَدِيقِ

ولتكنْ ، يا نهرُ ، أمواجُكَ حَضُنَا  
يتلقاهُ وَقَلْباً مُشْفِقاً

ولتكن ، يا نجم ، أضواءك عينا  
تسكبُ الدمعَ على من غرقا

آه يا قيثارتي ، أيُّ المآسي !  
قد كرهتُ الليلَ أضواءً وظلاً  
أيُّها الصيَّادُ ، قف ! ألقي المراسي  
إنَّ تحتَ الليلِ جسماً مضمحلاً

هوذا ، يا أيُّها الصيَّادُ ، جسماً  
خامدَ الأنفاسِ في حضنِ المياهِ  
وعيوناً ملئتَ رُعباً وهماً  
لم يَزَكْ يملأها حبُّ الحياهِ  
أيُّها الصيَّادُ ، قف بالزورقِ ،  
وانتشلْ هذا الغريقَ البائساً

خُذْهُ لِلشَّاطِئِ وَاذْفِنْ مَا بَقِيَ  
مِنْهُ فِي الْقَرْيَةِ وَارْجِعْ يَائِسًا

مَا الَّذِي تَصْطَادُ فِي بَحْرِ الزَّمَنِ  
وَعَدًا يَصْطَادُكَ الدَّهْرُ الْعَتِي  
نَحْنُ يَا صَيَّادُ أَبْنَاءُ الشَّجَنِ  
حَفًّا مَحْيَانًا الشَّقَاءُ الْأَبْدِي

كُلَّ يَوْمٍ بَيْنَ أَيْدِينَا غَرِيقُ  
وَعَدًا نَحْنُ جَمِيعًا مُفْرَقُونَ  
عَالَمٌ حَفًّا بِهِ الْمَوْتُ الْمُحَقِّقُ  
وَتَبَاكِي فِي حِمَاهُ الْبَائِسُونَ  
ضَاقَ يَا صَيَّادُ فِي عَيْنِي الْوَجُودُ  
يَا لَكُونِ سِرُّهُ لَا يَنْجِلِي

كُلُّ مَا فِيهِ إِلَى الْقَبْرِ يَقْسُدُ  
مِمَّا الَّذِي يَبْقَى لَنَا مِنْ أَمَلٍ ؟

١٩٤٥ - ٧ - ١٠

## ٤- عاشقة الليل

يا ظلامَ الليلِ يا طاويَ أحزانِ القلوبِ  
أنظرِ الآنَ فهذا شبحُ بادي الشُّحوبِ  
جاءَ يسعَى ، تحتَ أستاركَ ، كالطيفِ الغريبِ  
حاملاً في كفه العودَ يُغني للغُيوبِ  
ليس يَعْنِيهِ سُكونُ الليلِ في الوادي الكئيبِ

هو ، يا ليلُ ، فتاةَ شهيدِ الوادي سُرَّاهَا  
أقبلَ الليلُ عليها فافاقتْ مقتلَها  
ومضتْ تستقبلُ الواديَ بالحنِّ أساها  
ليتَ آفاقكَ تدري ما تُغني شَفَتَها  
آه يا ليلُ ويا ليستكَ تدري ما منها

جنَّها الليلُ فأغررتها الديَّاجي ، والسكونُ  
وتصبَّأها جمالُ الصمْتِ ، والصمْتُ فنونُ



فَنَضَّتْ بَرْدَ نَهَارٍ لَفٍّ مَسْرَاهُ الْحَيْنُ  
وَسَرَتْ طَيْفًا حَزِينًا فَإِذَا الْكَوْنُ حَزِينُ  
فَمَنْ الْعُودِ نَشِيْجٌ وَمَنْ اللَّيْلِ أَنْيْنُ

إِيَّاهُ يَا عَاشِقَةَ اللَّيْلِ وَوَادِيهِ الْأَعْنَ  
هُوَذَا اللَّيْلُ صَدَى وَحْيٍ وَرُؤْيَا مُتَمَنِّي  
تَضْحَكُ الدُّنْيَا وَمَا أَنْتِ سَبَوَى آهٍ حَزْنِ  
فَخُذِي الْعُودَ عَنِ الْعُشْبِ وَضَمِيهِ وَغَنِي  
وَصِفِي مَا فِي الْمَسَاءِ الْخُلُوِّ مِنْ سِحْرِ وَفَنٍ

ما الذي ، شاعرة الحيرة ، يُغري بالسما ؟  
أهي أحلام الصبايا أم خيال الشعراء ؟  
أم هو الإغرام بالمجهول أم ليل الشقاء ؟  
أم ترى الآفاق تستهريك أم سحر الضياء ؟  
عجبا شاعرة الصمت وقيثار المساء

طيفُكِ الساري شحوبٌ وجلالٌ وغموضٌ  
لم يَزَلْ يَسْري خيالاً لَفَّه الليلُ العريضُ  
فهو يا عاشقةَ الظُّلْمَةِ أسرارٌ تفيضُ  
آه يا شاعرتي لن يُرَحِّمَ القلبُ المَهْيِضُ  
فارجعي لا تَسْألي البرقَ فما يدري الوميضُ

عَجَباً ، شاعرةَ الحَيْرَةِ ، ما سرُّ الدُّهُولِ ؟  
ما الذي ساقكِ طيفاً حالمًا تحتَ النخيلِ ؟  
مُسْنَدَ الرأسِ إلى الكَفَيْنِ في الظلِّ الظليلِ  
مُفَرَّقاً في الفكرِ والأحزانِ والصمتِ الطويلِ  
ذاهلاً عن فتنةِ الظُّلْمَةِ في الحقلِ الجميلِ

أنصتي هذا صُراخُ الرعدِ ، هذي العاصفاتُ  
فارجعي لن تُدرِكي سرّاً طوته الكائناتُ  
قد جَهِلْنَاهُ وضنّتْ بخفائيه الحياةُ

ليس يدري العاصفُ المجنونُ شيئاً يا فتاهُ  
فارحمي قلبك ، لن تنطقُ هذي الظُّلماتُ

٤ - ٤ - ١٩٤٥

## ٥ - حَوَاطِرُ مَسَائِيَةِ

إِذَا رَحَفَ اللَّيْلُ فُوقَ السَّهْبِ  
وَمَرَّتْ عَلَى الْأَفْقِ كَفُّ الْغَيُومِ  
وَلَمْ يَبْقَ غَيْرُ السَّكُونِ الرَّهيبِ  
وَنَامَ الْبَدَجِيُّ تَحْتَ جَنَحِ الْوَجُومِ

وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا نُوحُ الْيَمَامِ  
وَهَمْسُ السَّوَاقِي وَأَنَاتُهَا  
وَوَقْعُ خَطَايَا عَابِرِي الظَّلَامِ  
تَمَرُّ وَتَخَفُّ أَصْوَاتُهَا

جَلَسْتُ أَنَا جِي سَكُونِ الْمَسَاءِ  
وَأَرْمَقُ لَوْنَ الظَّلَامِ الْحَزِينِ

وأرسلُ أغنيتي في الفضاء  
وأبكي على كلِّ قلبٍ غبين

أصيحُ إلى همساتِ اليمام  
وأسمعُ في الليلِ وقعَ المطرِ  
وأنا قُمريةٌ في الظلام  
تُغني على السُّبُعِ بين الشجرِ

وأهاتِ طاحونةٌ ، من بعيدُ  
تنوحُ المساءَ وتشكو الكلالُ  
تمرُّ على مسمعى بالمشيدِ  
وتفتأ تصدحُ خلفَ التلالِ

أصيحُ ولا صوتَ غيرِ الأتینِ  
وآرنو ولا لونَ غيرِ الدُّجى

غَيُومٌ وَصُمْتُ وَلِيلٌ حَزِينُ  
فَلَا عَجَبٌ أَنْ أَحْسَّ الشَّجَا

رَأَيْتُ الْحَيَاةَ كَهَذَا الْمَسَاءِ  
ظِلَامٌ وَوَحْشَةٌ جَوْ كُئِيبِ  
وَيَحْلُمُ أَبْنَاؤُهَا بِالضُّيَاءِ  
وَهُمْ تَحْتَ لَيْلٍ عَمِيقٍ رَهِيْبِ

طَبِيعَتُهَا أَبَدًا بَاكِيه  
فَصُمْتُ الدُّجَى وَأَنْيُنُ الرِّيحِ  
وَتَنْهِيْدَةُ النَّسَمِ السَّارِيهِ  
وَدَمْعُ النَّدَى فِي عُيُونِ الصَّبَاحِ

وَأَبْصَرْتُ عِنْدَ ضَفَافِ الشَّقَاءِ  
جَمْرَ الْخَزَانِي وَرَكْبَ الْجِيَاعِ

تُشَرِّدُهُمْ صَرَخَاتُ الْقَضَاءِ  
وَمَا أَرْسَلُوا هَمَسَاتِ الرِّدَاغِ

وَأَصِيفْتُ لَكِنْ سَمِعْتُ النُّشَيْجِ  
يُدْوِي صَدَاهُ عَلَى مَسْمَعِي  
وَرَاءَ الْقَصُورِ وَفَوْقَ الْمَرْجِ  
فَمَنْ يَا تَرَى يَتَغْنَى مَعِي ؟

سَاحِلُ قَيْثَارَتِي فِي غَدِ  
وَأَبْكِي عَلَى شَجَنِ الْعَالَمِ  
وَأَرِثِي لَطَالِعِهِ الْأَنْكَدِ  
عَلَى مَسْمَعِ الزَّمَنِ الظَّالِمِ

٢٤ - ١١ - ١٩٤٥

## ٦ - في وادي العبيد

ضاع عُمري في دياجير الحياةِ  
وخبَّتْ أحلامُ قلبي المفرقِ  
ها أنا وحدي على شطِّ المماتِ  
والأعاصيرُ تُنادي زورقي  
ليس في عيني غيرُ العبراتِ  
والظلالُ السودُ تحمي مفرقي  
ليس في سمعي غيرُ الصرَخاتِ  
أسفاً للعمُرِ ، ماذا قد بقي ؟

سَنواتُ العُمُرِ مرَّتْ بي سِراعا  
وتوارتْ في دُجَى الماضي البعيدِ  
وتبسَّقتْ على البحرِ سِراعا



مُغْرَقاً فِي الدَّمْعِ وَالْخِزْنِ الْمُبِيدِ  
وَحَدَّتِي تَقْتُلُنِي وَالْعُمْرُ ضَاعَا  
وَالْأَسَى لَمْ يُبْقِ لِي حُلْماً جَدِيدَ  
وِظْلَامُ الْعَيْشِ لَمْ يُبْقِ شُعَاعَا  
وَالشَّبَابُ الْغَضُّ يَذْوِي وَيَبِيدُ

أَيُّ مَأسَاةٍ حَيَاتِي وَصِيَايَا  
أَيُّ نَارٍ خَلْفَ صَمْتِي وَشَكَاتِي  
كَتَمْتُ رُوحِي وَيَاحْتَ مَقْلَتَايَا  
لَيْتَهَا ضَمَنْتُ بِأَسْرَارِ حَيَاتِي  
وَلِمَنْ أَشْكُو عَذَابِي وَأَسَايَا ؟  
وَلِمَنْ أُرْسِلُ هَذَا الْأَغْنِيَا ؟  
وَحِزَالِيَّ عَبِيدٌ وَضَحَايَا  
وَوَجُودٌ مُغْرَقٌ فِي الظُّلُمَاتِ

أَيُّ مَعْنَى لَطْمُوحِي وَرَجَائِي  
شَهِدَ الْمَوْتَ بَضْعَافِي الْبَشِيرِي  
لَيْسَ فِي الْأَرْضِ لِحُزْنِي مِنْ عِزَاءِ  
فَاحْتِدَامِ الشَّرِّ طَبْعُ الْآدَمِي  
مُثْلِي الْعُلْيَا وَحُلْمِي وَسَمَائِي  
كُلُّهَا أَوْهَامُ قَلْبٍ شَاعِرِي  
هَكَذَا قَالُوا . . . فَمَا مَعْنَى بَقَائِي ؟  
رَحْمَةُ الْأَقْدَارِ بِالْقَلْبِ الشَّقِي

لَا أُرِيدُ الْعَيْشَ فِي وَادِي الْعَبِيدِ  
بَيْنَ أَمْوَاتٍ . . . وَإِنْ لَمْ يَدْفَنُوا . . .  
جُثَّتْ تَرَسَفُ فِي أَسْرِ الْقَيْسُودِ  
وَتَمَائِيلُ اجْتَنَوْنَهَا الْأَعْيُنُ  
أَدْمِيُونَ وَلَكِنْ كَالْقُرُودِ

وضِبَاعٌ شَرَسَةٌ لَا تُؤْمَنُ  
أَبْدًا أَسْمَعُهُمْ عَذْبَ نَشِيدِي  
وَهُمْ نَوْمٌ عَمِيقٌ مُحْزَنٌ

فَلَبِيَ الْحُرُّ الَّذِي لَمْ يَفْهَمْوهُ  
سَوْفَ يَلْقَى فِي أَغَانِيهِ الْعَزَاءَ  
لَا يَظُنُّوْا أَنَّهُمْ قَدْ سَحَقُوهُ  
فَهُوَ مَا زَالَ جَمَالًا وَنَقَاءً  
سَوْفَ تَمْضِي فِي التَّسَابِيحِ سَنُوهُ  
وَهُمْ فِي الشَّرِّ فَجْرًا وَمَسَاءً  
فِي حَضْبِضٍ مِنْ أَذَاهُمْ الْفَوُهِ  
مُظْلِمٌ لَا حُسْنَ فِيهِ ، لَا ضِيَاءَ

إِنْ أَكُنْ عَاشِقَةً اللَّيْلِ فَكَأْسِي  
مُشْرِقٌ بِالضُّوْرِ وَالْحُبِّ الْوَرِيقِ

وَجَمَالُ اللَّيْلِ قَدْ طَهَّرَ نَفْسِي  
بِالدُّجَى وَالْهَمْسِ وَالصَّمْتِ الْعَمِيقِ  
أَبْدًا يَمْلَأُ أَوْهَامِي وَحُــسْنِي  
بِمَعْنَانِي الرُّوحِ وَالشَّعْرِ الرَّقِيقِ  
فَدْعُوا لِي لَيْلَ أَحْلَامِي وَيَاسِي  
وَلَكُمْ أَنْتُمْ تَبَاشِيرُ الشُّرُوقِ

١٩٤٦ - ٨ - ٨

## ٧ - ذكريات محوّة

وجهُكَ أَخْفَاهُ ضَبَابُ السنينِ  
وَضَمَمَهُ الْمَاضِي إِلَى صَدْرِهِ  
أَلْقَى عَلَيْهِ مِنْ شَبَابِي الْحَزِينِ  
أَحْزَانَ قَلْبٍ تَاهَ فِي دُغْرِهِ

وَصَوْتُكَ الْخَافِي خَبَا لِحَنِّهِ  
وَأَوْحَشَتْ سَمْعِي أَصْدَاؤُهُ  
فَلَسْتُ أَدْرِي الْآنَ مَا لَوْنُهُ ،  
مَا رَجَعَهُ الصَّافِي ، وَإِحَاؤُهُ

رُلُونُ عَيْنَيْكَ ، وَأَسْرَارُهَا ،  
وَشَعْرُكَ الدَّاجِي ، وَأَمْوَاجُهُ  
غَابَتْ جَمِيعاً ، أَيْنَ تَذَكُّارُهَا  
فِي لَيْلِ قَلْبٍ طَالَ إِدْلَاجُهُ ؟

كم ، في سكونِ الليلِ ، تحتَ الظلامِ  
رَجَعْتُ لِلْمَاضِي وَأَيَّامِهِ  
أُبْحِثُ عَنْ حَيِّي بَيْنَ الرُّكَّامِ  
فَلَمْ تَصِدْنِي غَيْرُ أَلَامِهِ

لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ غَيْرُ حُزْنِي الْمَرِيرِ  
بَقِيَّةٌ مِنْ حَيِّي الذَّاهِبِ  
وَذَكَرِيَّاتٍ مِنْ صِبَايَ الْغَرِيرِ  
سَاخِرَةٌ مِنْ وَجْهِ الشَّاحِبِ

وَأَصْبَحْتُ ذَكَرَاكَ وَهَمًّا يُلُوحِ  
يَشْتَاقُهُ قَلْبِي الْكَثِيبُ الْغَرِيرُ  
يَا جَسَدًا ، كَالْقَبْرِ ، مَا فِيهِ رُوحُ  
سَمِيَّتُهُ قَلْبًا ، فَيَا لِلْغُرُورِ !

وَأَيُّ قَلْبٍ جَامِدٍ بَارِدٍ  
أَيُّ حَيَاةٍ تَحْتَ ظِلِّ الْخُمُودِ

لولا صُراخُ الزَّمنِ الحَاقِدِ  
لَضِيقْتُ بِالْعَيْشِ وَعِفْتُ الْوَجُودَ

لَمْ يَعُدِ الْحُبُّ أَسَىً مُخْرِقًا  
يُشْعِلُ أَيَّامِي بِأَحْزَانِهِ  
وَلَمْ يَعُدْ جَفَنِي مَغْرُوقًا  
يُحْرِقُهُ الدَّمْعُ بَنِيَّانِهِ

لَمْ يَبْقَ إِلَّا ثَوْرَةٌ وَاحْتِقَارُ  
مَلءَ حَيَاتِي الْمُرَّةَ الْحَالَهُ  
النَّارُ ذَابَتْ وَتَبَقَّى الشَّرَارُ  
تَشْرِبُهُ أَحْلَامِي الْوَاهِمَهُ

وَطَيْفُكَ الْخَابِي هَوَى نَجْمُهُ  
وَغَابَ فِي الْمَاضِي الرَّهيبِ الْأَيْدُ

ووجهك القاسي ذَوِي رَسْمُهُ  
في مُقَلَّتِي فهو خيالٌ بعيدُ

مَضَى زَمَانٌ كُنْتُ فِيهِ الَّتِي  
تَفْتَنُهَا أَنْغَامُكَ الصَّافِيهِ  
وَرُوحُ أَشْعَارِكَ فِي وَحْدَتِي  
وَحْيِي الإِلَهِيِّ وَأَشْعَارِيهِ

مَضَى وَأَبْقَى لِي فـؤَاداً يَرَى  
فِيكَ جَمَاداً مِنْ تَرَابٍ وَطِينٍ  
أَسْكَنْتُهُ يَوْمَ أَعَالِي الذُّرَى  
وَأَرْجَعْتُهُ لِلْحَضِيضِ السَّنِينِ

لَمْ يَبْقَ مِنْكَ الْآنَ شَيْءٌ جَمِيلٌ  
غَيْرَ اسْمِكَ الْعَذْبِ وَأَصْدَائِهِ



ذكرى لقلبٍ كان يوماً نبيلٍ  
فبساتٍ في حمأة أهوائه

ملاحُ الهيكلِ عندي امحُ  
الوجهُ ، والبسمةُ ، والمقلتانِ .  
لم يبقَ إلا اسمٌ ، وروحٌ خوتُ  
وذكرياتٌ قد محّاهَا الزمانُ

مددتُ كفِّي إلى جوّها  
باحثةً عن سحرها السابقِ  
فلم أجِدْ ثمَّ سوى شِلْوِها  
يسخرُ من مدمعي الدافقِ

وعاد قلبي للأسَى والعذابِ  
مستوحشاً حتّى من الذكرياتِ  
من يرجعُ الماضي إذا ما الضبابُ

ألقى دُجَاهُ فوقَ ليلِ الحِياةِ ؟  
وما مَحَاهُ الزَّمَنُ القِـادِرُ  
أيُّ يدٍ تَكْتُبُهُ من جـديدٍ ؟  
فيمَ إِذْنٍ يَلْتَفَتُ الشَّاعِرُ  
إلى دُجَى الماضي الرهيبِ الأبيدِ ؟

١٩٤٦ - ٨ - ٢٠

## ٨- إلى الشاعر كيتس

الإشارات إلى قصيدته :

“Ode to a Nightingale”

حياتي وآلامُ روعي الحزينُ  
وأحلامِي المرّةِ الداويةِ  
وموكبُ أيامِي الذاهبَاتِ  
وأطيفافُ أيامِي الآتِيهِ  
تَجَمَّعْنَ في باقِيَةِ من عبيرِ  
ثَوَتْ خَلْفَهَا روعي الفانيهِ  
وأهديتُهَا نَغْمًا حَالِمًا  
إلى روحك الحرّةِ الباقيهِ

حياتي ، يا شاعري ، كُلُّهَا  
حياةُ فتاةٍ من الحالمينُ

إِلَهِيَّةُ الرُّوحِ لَكِنَّهَا  
عَلَى الْأَرْضِ حَفْنَةُ مَاءٍ وَطِينُ  
تُعَذِّبُهَا صَرَخَاتُ الْأَسَى  
وَتُرْعِشُهَا صَدَمَاتُ السَّنِينِ  
وَلَوْلَاكَ مَا وَجَدْتُ فِي الشَّرَى  
عِزًّا ، وَلَمْ يَجْتَذِبْهَا الْحَنِينُ

أَنَا شَيْدُكَ الْخَالِدَاتُ الْعِذَابُ  
نَشِيدِي وَأَغْنِيَتِي الْهَاتِفُ  
فَكَمْ لَيْلَةٍ مِنْ لِيَالِي الشِّتَاءِ  
دَفَعْتُ بِهَا ضَجَّةَ الْعَاصِفِ  
وَأَسْمَعْتُهَا النَّارَ فِي مَوْقَدِي  
وَأَغْنِيَتُهَا الظِّلَّةُ الْوَارِفِ  
وَأَبْقَظْتُ فِي ظِلِّهَا فِتْنَتِي

ونارَ عواطفِي الجارفه  
 وكم في ليالي الخريفِ الكئيب  
 وقفتُ أحـدقُ عند النهرِ  
 أصيخُ إلى صوتِ قُمْرِيَّةِ  
 سَجَّتْ فوقَ بعضِ غُصُونِ الشَّجَرِ  
 أفْتَشُّ في صَوْتِهَا عن شَجَاكَ  
 وشكواكَ بين الأَسَى والفِكْرِ  
 وأسألُهَا عن شَبَابِ ذَوَى  
 وظلِّ صَبَا راقِدٍ في الحُفْرِ

أقولُ لها : صَوِّري من جديد  
 ظلامَ المساءِ الكئيبِ البعيدِ  
 وما كانَ من شاعري في دُجَاهِ  
 وآهاته وأسناءِ المُبِيدِ  
 صفي حُزْنَهُ عند رأسِ المريضِ

ووحشته والرجاء البديء  
صفي ذلك الجسد الآدمي  
وما قال عند وداع الوجود

صفي شاعري كيف أمضى المساء  
على قدمي ذلك الميئ  
يُصَيخُ إلى النعماتِ الحنون  
ويطرقُ إطرَاقَةَ المنصتِ  
صفيه ، كما أرعشته الحياة  
أسي ، تحت سيف الردى المصلتِ  
على كفه رأسه الشاعري  
وحيداً ، إلى جانب الجثةِ

وكيف تولى المساء الحزين  
على شُعلة الشمعة الشاحبه ؟

وهل صرّختُ في الظلام الرباح  
كما صرّختُ نفسهُ الصاخبه ؟  
« هنالك حيثُ يموتُ الشَّبَابُ  
وتَلْدوي أشعتهُ الغاربه »  
هنالك حيثُ الدهولُ الغريب  
يودّعُ روحَ المُنَى الداهبِـــــــــــــــــه

وتمضي الليالي إلى قَبْرِها  
وتمشي الحَيَاةُ مع الموكبِ  
أسيرُ أنا في شِعَابِ الوجود  
أفــــــــــــــــتسُ عن حُلُمي المتعبِ  
تخادعني كلُّ قـــــــــــــــــمريةٍ  
وتعسبُ كلُّ الأغــــــــــــــــاريدِ بي  
وما زالَ طيفُكَ طيَّ الحُفَاءِ  
تُحَجِّبُهُ ظُلمةُ المَغْرِبِ

## ٩ - جُود

فِي سُكُونِ الْمَسَاءِ      فِي ظِلَامِ الْوَجُودِ  
حِينَ نَامَ الضَّيَاءُ      وَاعْتَرَانِي جُمُودُ

خَلْتُ نَفْسِي أَسِيرُ      فِي مَكَانٍ بَعِيدِ  
فَوْقَ قَلْبِي أَثِيرُ      تَحْتَ رِجْلِي قُيُودُ

فِي كَيْفَانِي فُتُورُ      فِي دَمِي نَوءُ  
لَقَبَّوهُ الشَّعُورُ      وَهُوَ لَا شَيْءُ

فِي إِسَارِ الْأَلَمِ      رُوحِي الْمُبْهِمِ  
يَا مَعَانِي الْعَدَمِ      آهٍ لَوْ أَفْهِمِ

فِي ضَبَابِ الْوَجُودِ      أَنَا كَالسَّرِّ  
وَعَدًا سَاعُود      دُونَ أَنْ أَدْرِ



جَسَدِي فِي الْأَلَمِ      خَاطِرِي فِي الْقَيْدِ  
بَيْنَ هَمَسِ الْعَدَمِ      وَصُرَاخِ الْوَجْدِ

وَسَكُونِي حَيَاةَ      وَظِلَامِي بِرَيْقِ  
النَّجَاةِ النَّجَاةِ      مِنْ شَعُورِي الْعَمِيقِ

أَنَا حُلْمٌ      وَشَعُورٌ طَهْرٌ  
أَنَا جَسْمٌ      مُغْرَقٌ فِي الشَّرَرِ

بَلْ أَنَا آفَاقٌ      مِنْ شَعُورٍ عَنِيفِ  
وَأَنَا أَعْمَاقٌ      مِنْ خِصَمٍ مَخِيفِ

الْمَقْـايِيسُ      لَيْسَ تَغْنِيْنِي  
الْأَحْسَاسِيْسُ      هِيَ قَانُونِي

أَنَا لَا أَهْوَى      مَا يُحِبُّ النَّاسُ  
فَإِذَا دَوَّى      فِي دَمِي إِحْسَاسُ

سـسـرتُ لا أُلوي سـسـرتُ خلف الصوت  
فـغـداً يَطوي فـجـرَ عُمري الموت

في دمي إعصار عاصفٌ بالجمود  
وشظايا نار تتحدى الركود

كلُّ قلبي شك في معاني الخير  
فكرةٌ تُضحك أنا أهوي الشر

إن يكُ الجـسـم من ترابٍ حقير  
فأنا إثم ... أنا لستُ أثير

إن يكُ العـقـل يمقتُ الإنفـجار  
فأنا حلٍ منه ... يا للعار !

إن يكُ الإيمان هو هذا الجمود  
فأنا نُكران أنا كلي جُحود

## ١٠ - جامعة الظلال

أخيراً لمستُ الحياه  
وأدركتُ ما هي أيُّ فَرَاغٍ ثَقِيلٍ  
أخيراً تبيّنتُ سرَّ الفقايعِ وأخيئته  
وأدركتُ أنني أضعتُ زماناً طويلاً  
ألمُ الظلالَ وأخبطُ في عتمةِ المستحيلِ  
ألمُ الظلالَ ولا شيءَ غيرِ الظلالِ  
ومرّتْ عليّ الليالِ  
وها أنا أدركُ أنني لمستُ الحياه  
وإن كنتُ أصبرُ وأخيئته .



ومرّتْ عليّ زمانٌ بطيءُ العبورِ  
دقائقُهُ تتمطى ملالاً كأنَّ العُصورَ  
هنالكَ تغفو وتنسى مواكبها أن تدورَ  
زمانٌ شديدُ السوادِ ، ولونُ النجومِ

بذكرُني بعيونِ الذئابِ  
وضوءٌ صغيرٌ يلوحُ وراءَ الغيومِ  
عرفتُ به في النهايةِ لونَ السرابِ  
ووهمَ الحياةِ  
فواخيبتاهُ



أهلاً إذن هو ما لقبوهُ الحياة ؟  
خُطوطٌ نظَّلُ نخطُّها فوقَ وجهِ المياه ؟  
وأصداءُ أغنيةٍ فظَّة لا تَمَسُّ الشِّفاء ؟  
وهذا إذن هو سرُّ الوجود ؟  
ليالٍ ممزقةٌ لا تعود ؟  
وأثارُ أقدامنا في طريقِ الزمانِ الأصم ؟



تمرُّ عليها يدُ العاصفه  
فتمسحُها دوئنا عاطفه  
وتُسَلِّمُها للعدَمِ  
ونحنُ ضحايا هنا

تَجْوَعُ وَتَعْطَشُ أَرْوَاحُنَا الْخَائِرَةِ

وَنَحْسَبُ أَنَّ الْمَتَى

سَتَمَلَأُ يَوْمًا مَشَاعِرَنَا الْعَاصِرَةِ

وَلِنَجْهَلُ أَنَّا نَدُورُ

مَعَ الْوَهْمِ فِي حَلَقَاتِ

لِنَجْزِيَهُ أَيَّامَنَا الْأَفَلَاتِ

إِلَى ذِكْرِيَّاتِ

وَنَنْتَظِرُ الْغَدَ خَلْفَ الْعُصُورِ

وَلِنَجْهَلُ أَنَّ الْقُبُورَ

تَمُدُّ إِلَيْنَا بِأَذْرِعِهَا الْبَارِدَةِ

وَلِنَجْهَلُ أَنَّ السَّائِرَ تُخْفِي يَدَا مَارِدِهِ



عَرَفْتُ الْحَيَاةَ ، وَضِيقَ الْجَمْعِ الظَّلَالِ

وَأَضْجَرَنِي أَنَّ لِنَحْوِبَ التَّلَالِ

نَحْدَقُ فِي حَسْرَةٍ خَلْفَ رُكْبِ اللَّيَالِ

تَسِيرُ بِنَا الْقَافِلَةِ

لِنَجُوسُ الشُّوَارِعَ فِي وَحْدَةِ قَاتِلِهِ

إِلَامَ يُخَادَعُنَا الْمُبْهَمُ ؟  
وَكَيْفَ النِّهَايَةُ ؟ لَا أَحَدٌ يَعْلَمُ



سَنَبْقَى نَسِيرُ  
وَأَبْقَى أَنَا فِي ذُهُولِي الْغَرِيرِ  
أَلَمْ الظَّلَالِ كَمَا كُنْتُ دُونَ اهْتِمَامِ  
عَبْرُونَ وَلَا لَوْنٍ ، لَا شَيْءَ إِلَّا الظَّلَامِ  
شِفَاهُ تُرِيدُ وَلَا شَيْءَ يَقْرَبُ مِمَّا تُرِيدُ  
وَأَيْدٍ تُرِيدُ احْتِضَانِ الْقَضَاءِ الْمَدِيدِ  
وَقَلْبٌ يَرِيدُ النُّجُومِ  
فِيصْفَعُهُ فِي الدِّيَاجِيرِ صَوْتُ الْقَدُومِ  
يُهِيلُ التُّرَابَ عَلَى آخِرِ الْمَيْتِينَ  
وَأَقْصُوصَةً مِنْ يَرَاعِ السَّنِينَ  
تَضْجُعُ بِسَمْعِي فَاصْرُخُ : آه !  
أَخِيرًا عَرَفْتُ الْحَيَاةَ  
فَوَاحِشِيَّتَاهُ

## ١١- خرافات

« هدية إلى صديقتي د. أ. تحية  
لذكرى مساء فلسفنا فيه كل شيء  
حتى الكراسي والمناضد والستائر »

### قالوا الحياة

هي لونٌ عَيْنِي مَيّتٍ  
هي وقعُ خُطو القاتِلِ المتلفَتِ  
أيامُها المتجعداتُ  
كالمعطفِ المسمومِ ينضحُ بالمماتِ  
أحلامُها بَسَمَاتُ سَعَلَةٍ مخدرةِ العيونِ  
ووراءَ بسمتها المُنُونُ

### قالوا الأمل

هو حَسْرَةُ الظمآنِ حينَ يرى الكؤوسُ  
في صورةٍ فوق الجدارِ  
هو ذلكَ اللونُ العبّوسُ

في وجه عُصْفُورٍ تَحَطَّمُ عُشُّهُ فَبَكَى وَطَارَ  
وَأَقَامَ يَنْتَظِرُ الصَّبَاحَ لَعَلَّ مُعْجِزَةً تُعِيدُ  
أَنْقَاضَ مَأْوَاهُ الْمَخْرَبِ مِنْ جَدِيدُ

### قالوا النعيم

ويبحثُ عنه في العيونِ الغائراتُ  
في قصَّةِ البؤسِ التي كُتِبَتْ على بعضِ الوجوه  
في الدهرِ تَأْكُلُهُ سنوه  
في الزهرِ يرصدُ عِطْرَهُ شَبَحُ الذبولِ  
في نَجْمَةٍ حَسَنَاءَ يَرُصِدُهَا الْأَفُولُ  
قالوا النعيمُ ولم أجدهُ فهل طَوَى غَدَهُ وَمَاتَ ؟

### قالوا السكون

أَسْطُورَةٌ حَمَقَاءُ جَاءَ بِهَا جَمَادُ  
يُصْغِي بِأَذْنِيهِ وَيَتْرَكُ رُوحَهُ تَحْتَ الرَّمَادِ  
لم يَسْمَعْ الصَّرَخَاتِ يُرْسِلُهَا السِّيَاحُ ،  
وقصائصُ الورقِ الممزَّقِ فِي الْخَرَائِبِ ، وَالْغُبَارِ ،



ومقاعدُ العُرْفِ القديمة ، والزُّجَاجُ ،  
غطاءُ نَسِجِ العنكبوت ، ومعطفٌ فوق الجدار .

### قالوا الشبابُ

وسألتُ عنه فحدثوني عن سنينِ  
تأتي فينقشُ الضَّبَابُ

وتحدثوا عن جنةٍ خلف السَّرَابِ

وتحدثوا عن واحةٍ للمتعبينِ

وبلغتها فوجدتُ أحلامَ القَدِ

مصلوبةً عند الرِّتَاجِ الموصدِ

### قالوا الخلودُ

ووجدتهُ ظلاً تَمُطِّي في بُرُودِ

فوق المدافنِ حيثُ تنكمشُ الحياهُ

ووجدتهُ لفظاً على بعضِ الشفاءِ

غشَّتهُ وهي تنوحُ ماضيتها وتُنزلهُ اللحدُ

غَتَتْهُ وَهِيَ تَمُوتُ . . . يا لِّلإِزْدِرَاءِ !  
قالوا الخلودُ ، ولم أجدُ الا الفناء .

### قالوا القلوب

ووجدتُ أبواباً تُؤدِّي في اختناقٍ  
للقابرِ دُفِنَ الشعورُ بها وماتَ غَدُ الخيالِ  
جُدُرانِها اللزجَاتُ تبتلعُ الجمالَ  
وَتُجِّ قُبْحاً لا يُطَاقُ  
وهربتُ شاحبةً أُنْلكَ إذنَ قلوبُ ؟  
يا خيبةَ الاحلامِ . إني لن أؤوبُ

### قالوا العيونُ

ووجدتُ أجفاناً وليس لها بَصَرُ  
وعرَفْتُ أهداباً شُدِدْنَ إلى حَجَرٍ  
وخبرتُ أقباءَ ملفَّعةً باستارِ الظنونِ  
عمياءَ من غيرِ الشُّرورِ وإن تكن تُدعى عيونُ  
وعرفتُ آفاقاً وأعينُهُم صفائحُ من زجاجِ  
زرقاءُ في لونِ السَّماءِ ، وخلفَ زرقَتها دَيَاجُ

## قالوا وقالوا

ألفاظهم لاكت تَرَدُّدُها الرياحُ  
فى عالمِ أصواته الجوفاءُ يرُصِّدُها الفناء  
المتبعونَ بلا ارتياحُ  
الضائعونَ بلا انتهاء  
قالوا وقلتُ وليس يبقِى ما يُقالُ  
يا للخرافةِ ! يا لسُخريةِ الخيالِ !

١٩٤٨

## ١٢ - مرثية يوم تافه

لاحتِ الظلمةُ في الأفقِ السحيقِ  
وانتهى اليومُ الغريبُ  
ومضتِ أصدائه نحو كهوفِ الذكرياتِ  
وغداً تمضي كما كانت حياتي  
شفةً ظمأى وكوبُ  
عكست أعماقه لونَ الرحيقِ  
وإذا ما لمستهُ شفتايا  
لم تجدُ من لذةِ الذكرى بقايا  
لم تجدُ حتى بقايا

إنتهى اليومُ الغريبُ  
إنتهى وأنتجتُ حتى الذنوبُ  
وبكتُ حتى حماقاتي التي سميتُها

ذكرياتي

إنتهى لم يبقَ في كَفِّي منه .

غيرُ ذكرى نَغَمٍ يصرُخُ في أعماق ذاتي

رائياً كَفِّي التي أفرغْتُها

من حياتي ، واذكاراتي ، ويومٍ من شبّابي

ضاعَ في وادي السرابِ

في الضبابِ .

كان يوماً من حياتي

ضائعاً ألقَيْتهُ دون اضطرابِ

فوق أشلاءِ شبّابي

عند تلِّ الذكرياتِ

فوق آلافٍ من الساعاتِ تاهت في الضبابِ

في مَتَاهاتِ الليالي الغابراتِ .

كان يوماً تافهاً . كان غريباً  
آن تدق الساعة الكسلى وتُخصي لحظاتي  
أنه لم يك يوماً من حياتي  
أنه قد كان تحقيقاً رهيباً  
ليقايَا لعنة الذكرى التى مزقتها  
هى والكأسُ التى حطمتها  
عند قبرِ الأمل الميتِ ، خلفَ السنواتِ ،  
خلف ذاتى

كان يوماً تافهاً . . . حتى المساءِ  
مرت الساعاتُ فى شبهِ بكاءِ  
كلُّها حتى المساءِ  
عندما أيقظَ سمعى صوتهُ  
صوتهُ الحُلُو الذى ضيَّعتهُ  
عندما أهدقتِ الظلمةُ بالآفِقِ الرهيبِ

وأمحتُ حتى بقايا المي ، حتى ذنوبي  
 وأمحي صوتُ حبيبي  
 حملتُ أصداءه كفُ الغروبِ  
 لمكانٍ غابَ عن أعينِ قلبي  
 غابَ لم تبقَ سوى الذكرى وحبي  
 وصدى يومٍ غريبِ  
 كشحوبي  
 عبثاً أضرعُ أن يُرجعُ لي صوتَ حبيبي .

١٩٤٨

## ١٣ - غرباء

أطفئ الشمعةً واركنا غريبين هنا  
نحن جزءٌ إن من الليلِ فما معنى السنّا ؟  
يسقطُ الضوءُ على وهمين في جفنِ المساءِ  
يسقطُ الضوءُ على بعضِ شظايا من رجاءِ  
سُميتُ نحنُ وأدعوها أنا :  
مللاً . نحن هنا مثلُ الضياءِ

غُرباءُ

اللقاءُ الباهتُ الباردُ كالיוםِ المطيرِ  
كان قتلاً لأناشيدي وقبراً لشعوري  
دقتِ الساعةُ في الظلمةِ تسعاً ثم عشراً  
وأنا من ألمي أصغي وأحصي . كنتُ حيرى  
أسألُ الساعةَ ما جَدوى حُبوري  
إن نكن نقضى الأماسي ، أنت أدري ،

غُرباءُ



مرّت الساعاتُ كالماضي يُغشيها الذُّبولُ  
كالغدِ المجهولِ لا أدري أفجرُّ أم أصيلُ  
مرّت الساعاتُ والصمتُ كأجواءِ الشتاءِ  
خلتهُ يخنقُ أنفاسي ويَطْفئُ في دمايِ  
خلتهُ يَنبِسُ في نفسي يقولُ  
أنتما تحت أعاصيرِ المساءِ

غُرَبَاءُ

أطفئِ الشمعةَ فالروحانِ في ليلٍ كثيفٍ  
يسقطُ النورُ على وجهينِ في لونِ الخريفِ  
أولاً تُبصرُ؟ عينانا ذبولٌ وبرودُ  
أولاً تسمعُ؟ قلبانا انطفاءٌ وخمودُ  
صممتنا أصداءُ إنذارٍ مخيفٍ  
ساخرٌ من أننا سوفَ نعودُ

غُرَبَاءُ

نحن من جاء بنا اليوم ؟ ومن أين بدأنا ؟  
لم يكنْ يَعْرِفُنَا الأمسُ رُفِيقَيْنِ . . . فدَعَنَّا  
نَطْفِئُ الذِّكْرَى كَأَن لَّمْ تَكْ يَوْمًا مِنْ صِبْيَانَا  
بَعْضُ حُبِّ نَزَقِ طَافَ بِنَا ثُمَّ سَلَانَا  
آهَ لَوْ نَحْنُ رَجَعْنَا حَيْثُ كُنَّا  
قَبْلَ أَنْ نَقْنَى وَمَا رَلْنَا كَلَانَا

غُرَبَاءُ

١٩٤٨

## ١٤ - الانعوان

أين أمشي ؟ مللتُ الدُّروبُ  
وسممتُ المُرُوجُ  
والعدوُّ الخفيُّ اللُّجُوجُ  
لم يَزَلْ يقتني خُطواتي ، فإين الهُرُوبُ ؟  
الممرَّاتُ والطُّرُقُ الذاهباتُ  
بالاغانيِ إلى كلِّ أفقٍ غريبُ  
ودروبُ الحياةِ  
والدهاليزُ في ظُلُماتِ الدُّجَى الحالكاتِ  
وزوايا النهارِ الجديبِ  
جبتُها كلَّها ، وعدوي الخفيُّ العنيدُ  
صامدٌ كجبالِ الجليدِ  
في الشِّمالِ البعيدِ

صامدٌ كصُّودِ النُّجُومِ  
في عِيُونِ جَفَّاهَا الرُّقَادُ  
ورمتها أَكْفُ الهَمِّومِ  
بجراح السُّهَادِ  
صامدٌ كصُّبُودِ الزَّمَنِ  
ساعةَ الْإِنْتِظَارِ  
كلماً أَمَعَنْتُ فِي الْفِرَارِ  
خُطُواتِي تَخْطِي الْقُنْنَ  
وَأَتَانِي بِمَا حَطَمَتْهُ جُهُودُ النَّهَارِ  
من قِيودِ التَّذَكُّرِ . . . لَنْ أُنْشِدَ الْإِنْفِلَاتِ  
من قِيودي ، وَأَيُّ انفِلَاتِ  
وَعُدُويِ الْمَخِيفِ  
مَقْلَتَاهُ تَمَجُّ الْخَرِيفِ  
فَوْقَ رُوحِ تُرِيدُ الرِّيعِ  
لَاكُفُّ الضِّيَاعِ «  
أَسْمَعُ الصَّوْتِ مَلَأَ الْبَقَاعِ

فأسيرُ لعلِّي أفيقُ  
 من دياجير كابوسيَ الأبدِيِّ الصفيقُ  
 ربما سيَصِلُ عدويَّ الطريقُ  
 ما أحبُّ المسيرَ وليس ورائي خُطى مائه  
 تتمطى بأصدائها الباهته  
 في محاني طريقى الطويلُ  
 إنه لن يجيء  
 لن يجيء وإن عَبَرَ المستحيلُ  
 أبداً لن يجيء  
 لن يراه فؤادي البريُّ  
 من جديدٍ يثيرُ الرياحُ  
 لتسدَّ عليَّ السبيلُ  
 في هدوءِ الصباحِ  
 أبداً لن يجيء  
 لن يجيء !

وأسمعُ قهقهةَ حاقده

إنه جاء . يا لضياح رجائي الكسير  
 في دُجَى اللَّابِرْتِ الضَّرِيرِ  
 وأُحْسُ اليَدَ المارِده  
 تضغَطُ البَرْدَ والرُّعْبَ فوق هدوئي الغريرِ  
 بأصابعها الجامده  
 إنه جاء .. فيمَ المسيرِ ؟  
 سأودِعُ حُلُمِي القصيرِ  
 وأعودُ بهجَّتِهِ الباردة .  
 وتمرُّ تمرُّ الحَيَاةَ  
 وعدوِّي الخفيُّ العنيدُ  
 خلفَ كلِّ طريقٍ جديدٍ  
 في ليالي الأَسَى الخالِكَاتِ  
 خلفَ كلِّ سحرٍ  
 وأراه يُطلُّ عليَّ مع المنتظرِ  
 مع أمسي البعيدِ  
 مع ضوءِ القمرِ

في الفضاءِ المديدُ  
أينَ أينَ المفرُ  
من عدوي العنيدُ  
وهو مثلُ القَدَرِ  
سرمدِيٌّ ، خفيٌّ ، أَيْدُ  
سرمدِيٌّ ، أَيْدُ

١٩٤٨

## ١٥ - الباحثة عن الغد

«غداً نلتقي» نبأ في الزمان      رَوَّتهُ الجِيَاءُ  
تلاشَى ولم تروِهْ شَفْتَانِ      تلاشَى وتاه

وجاءَ غداً ثم ولى وماتَ      وعِـادَ ضَيَّابَا  
فأينَ «غداً نلتقي» يا حياة      أعـادتْ تـرابَا ؟

«غداً نلتقي» ثم ماتَ الزمانُ      وضاعَ المكانُ  
وهل يلتقي أبداً عاشقان      على لا كيان ؟

وكان لنا موعدٌ فانطوى      صـداهُ وماتَ  
وكم كوكبٍ في الدياجي هوى      وعِـادَ رُفَاتُ

وكانت لنا قصَّةٌ كالْبَشَرِ      نسيجُ السنينِ  
فأسفرَ آخرُها عن قَدَرٍ      وذابَ الرنـينِ



وكنّا نمرُّ فترنو الحياة وتومي إلينا  
وها نحنُ تختصم الذكريات علي شفتينا

ويطرُدنا الأملُ من كلّ ما ملكناه يوماً  
سوى حاضِرٍ مُغرَقٍ في الدما ويقطُرُ سماً

ونسَمعُ بعضاً وراءَ المساء من المشرق  
صدى لفظتينِ يجوسُ الفضاء «غداً نلتقى»

ويأتي غداً في أسيٍّ وشُرودٍ بصمتٍ طويلٍ  
بألفٍ صدىٍ ساخرٍ في برودٍ وراء النخيلِ

«غداً نلتقى» ويسودُ السكونُ سكونُ الخريفِ  
وأسمعُ تحتَ المساءِ الحنونِ صُراخاً عنيفاً

وقهقهة ، فظَّة ، بارده      كجور القبور  
ترددها شقة حاقده      وراء العصور

« غداً نلتقي » وتمطُّ النعم      وتسخرُ مني  
ويبقى غدي تائهاً في الظلم      يفتشُ عني

١٩٤٨

## ١٦- الجرح الغاضب

أغضبُ أغضبُ لن أحتملَ الجُرحَ الساخرَ  
جرحٌ قد مرَّ مساءَ الأمرِ على قلبي  
جُرحٌ يجثم كالليلِ المُعتمِ في قلبي  
يجثمُ أسودَ كالنقمة في فكرٍ نائرٍ  
جُرحٌ لم يعرفَ إنسانٌ قبلي مثلهُ  
لن يشكوَ قلبٌ بشريٍّ بعدي مثلهُ  
الظلمةُ في أمسي المطوي أحسنهُ  
ومضتُ تهمسُ في صمتِ الليلِ: من الجاني؟  
حتى الأبدية والافاق أحسنهُ  
وتناسى ، لم يعبا ، لم يتعبه الجاني .  
أغضبُ، تغضبُ لي همساتُ الليلِ الصامتِ  
وتُحيلُ الجوّ الواجمَ صرخةَ جبارٍ  
وتقولُ الأنجمُ : هذي نقمةُ جبارٍ

ويثورُ بقلبِ الأبديةِ جُرحٌ ساكتٌ  
 أغضبُ يرتعشُ الموجُ معي تحتَ القمرِ  
 ويضجُ وتبلغُ ثورتهُ سمعَ القمرِ  
 ويُجِنُ الغيمُ الأسودُ في عَرْضِ الأفقِ  
 ويلفُ الشاطئَ ثوبُ حِدادٍ كجنازه  
 يتحولُ صمتي ناراً تصرخُ في الأفقِ  
 وأغني رقةَ إحساسي لحنَ جنازه



أمسي ، في أمسي قد دُفنتَ أشلاءُ غدي  
 كانتُ ، لم يدْرِ بها أحدٌ ، شبهُ جريمه  
 الجُرحُ النديانُ سيشهد ، أيُّ جريمه  
 كيفَ على الأرضِ تساقطَ حلمي بين يدي  
 كيفَ المقدورُ مضى نزقاً يقتلُ قلباً ؟  
 وتبقّتْ بضعةُ أشلاءٍ كانتْ قلباً

وتَبَقَّتْ ذَكَرِيَّ مُطْفَأَةٌ كَانَتْ أَمْسَا  
وتَبَقَّتْ أَنَا حَيْرِيَّ كَانَتْ لَحْنَا  
جُدْرَانُ عَارِيَّةٍ كَانَتْ يَوْمًا أَمْسَا  
أَصْدَاءُ فِي غَارٍ خَاوٍ كَانَتْ لَحْنَا  
وَمِنَ الْأَعْمَاقِ تَصَاعَدَ صَوْتُ مَخْنُوقٍ  
يَهْتَفُ فِي حُزْنٍ ، فِي جَزَعٍ : كَيْفَ أَبُوحُ؟  
لَيْتَ الْجُرْحَ الْمَظْلُومَ إِلَى اللَّيْلِ يَبْرُوحُ  
قَدْ يَثَارُ لِي مَطَرٌ وَرَعُودٌ وَبُرُوقُ  
وَرَأَيْتُ عَلَى الْأَفْقِ الْمَخْضُوبِ بَفِيضٍ دَمِي  
شَبَحًا تَفْتَرُّ عَلَى فَمِهِ قَطَرَاتُ دَمِي  
عَيْنَاهُ الزَّرْقَاوَانِ مَسَاءُ أَهْوَالِ  
وَيْدَاهُ السُّودَاوَانِ ذِرَاعَا عَفْرِيتِ  
شَبَحُ مَجْنُونٍ أَيْقَظَ عَاصِفَ أَهْوَالِ  
وَأَحَالَ دِيَاغِيرِي أَحْجِيَّةَ عَفْرِيتِ

أغضبُ للجرحِ المختلجِ الشاكي أغضبُ  
سَيُجَنُّ معي الصبرُ المذبوحُ المرتعشُ  
سَيُجَنُّ معي اللعنةُ والحقدُ المرتعشُ  
ستثورُ معي الذكرى ستثورُ ولا مهربُ  
لا مهربَ من جرحٍ قد مرَّ على قلبي  
جرحٌ يصرخُ كالجوعِ البائسِ في قلبي  
الظلمةُ في صمّتِ الآفاقِ أحستهُ  
ومضتْ تسألُ في قلبِ الليلِ: من الجاني؟  
حتى القُمريةُ والأشجارُ أحستهُ  
وتضاحكُ ، لم يشعرُ ، لم يتنبهِ الجاني

## ١٧ - مرّ القطار

الليلُ ممتدُّ السكونِ إلى المدى  
لا شيءَ يقطعُه سوى صوتِ بليدٍ  
لحمامةٍ حيرى وكلبٍ ينبحُ النجمَ البعيدَ ،  
والساعةُ البلهاءُ تلتهمُ الغدا  
وهناك في بعضِ الجهاتِ  
مرّ القطارُ  
عجلاتهُ غزلتُ رجاءَ بَتٍ أُنْتَظَرُ النهارَ  
من أجله . . . مرّ القطارُ  
وخبا بعيداً في السكونِ  
خلفَ التلالِ النائباتِ  
لم يبقَ في نفسي سوى رجيعٍ وهُونٍ  
وأنا احذقُ في النجومِ الحالماتِ  
أُنخِلُ العرباتِ والصفَّ الطويلَ  
من ساهرينَ ومتعبينَ

أتخيلُ الليلَ الثقيلُ  
 في أعينِ سَمتِ وجوهِ الراكبينُ  
 في ضوءِ مصباحِ القطارِ الباهتِ  
 سَمتُ مراقبةَ الظلامِ الصامتِ  
 أتصورُ الضجرَ المريرُ  
 في أنفُسِ ملئتِ وأتعبها الصغيرُ  
 هي والحقائبُ في انتظارِ  
 هي والحقائبُ تحتِ أكداسِ الغبارِ  
 تغفو دقائقُ ثم يوقظُها القطارُ  
 ويصلُ بعضُ الراكبينُ  
 متائباً ، نعيماً ، في كسلٍ يحدقُ في القفارِ  
 ويعودُ ينظرُ في وجوهِ الآخرينُ  
 في أوجهِ الغرباءِ يجمعُهم قطارُ  
 ويكادُ يغفو ثم يسمعُ في شرودِ  
 صوتاً يغمغمُ في برودِ  
 «هذي العقاربُ لا تسيرُ !



كم مرَّ من هذا المساء ؟ متى الوصول ؟ «  
 وتدفُّ ساعته ثلاثاً في دُهور  
 وهنا يقاطعه الصغيرُ  
 ويلوحُ مصباحُ الخفيرِ  
 ويلوحُ ضوءُ محطةٍ عبرَ المساءِ  
 إذ ذاكَ يتندُّ القطارُ المُجهَدُ  
 . . . وفي هُنالكَ في انطواء  
 يأبى الرقادَ ولم يزلْ يتنهدُ  
 سهرانَ يرتقبُ النجومَ  
 في مقلتيه برودةً خطَّ الوجومُ  
 أطرافها . . في وجهه لونٌ غريبُ  
 ألقتْ عليه حرارةُ الأحلامِ آثارَ احمرارِ  
 شَفَتاهُ في شبهِ افتراقِ  
 عن شبهِ حلمٍ يفرُّشُ الليلَ الجديبِ  
 بحفيفِ أجنحةٍ خفياتِ اللُّحونِ  
 عيناهُ في شبهِ انطباقِ

وكأنها تخشى فرار أشعة خلف الجفون  
أو أن ترى شيئاً مقيتاً لا يُطاق  
هذا الفتى الضَّجِرُ الحزين  
عبثاً يحاول أن يرى في الآخرين  
شيئاً سوى اللغز القديم  
والقصة الكبرى التي سئم الوجود  
أبطالها وفصولها ومضى يراقب في برود  
تكرارها البالي السقيم  
هذا الفتى .....  
وتمر أقدامُ الخفير  
ويطُلُّ وجهه عابسٌ خلف الزُّجاج ،  
وجهُ الخفير |  
ويهزُّ في يده السراج  
فيرى الوجوه المتعبه  
والنائمين وهم جلوسٌ في القطار  
والاعين المترقبه

في كلِّ جَفْنٍ صرخةٌ باسمِ النهارِ ،  
وتضيقُ أقدامُ الخفيرِ الساهدِ  
خلفَ الظلامِ الراكِدِ

مرُّ القطارِ وضاع في قلبِ الفقارِ  
وبقيت وحدي اسألُ الليلَ الشُرودَ  
عن شاعري ومتى يعودُ ؟  
ومتى يجيءُ به القطارُ ؟  
أترأه مرًّا به الخفيرُ  
ورأه لم يعبأ به .. كالآخرين  
ومضى يسيرُ

هو والسراجُ وفحصانِ الراكينِ  
وأنا هنا ما رلتُ أرقُبُ في انتظارِ  
وأودُّ لو جاءَ القطارُ ...

## ١٨ - في جبال الشمال

عُدُّ بنا يا قطارُ  
فالظلامُ رهيبٌ هنا والسكونُ ثَقِيلُ  
عُدُّ بنا فالمدَى شاسعٌ والطريقُ طَوِيلُ  
والياليِ قصارُ  
عُدُّ بنا فالرياحُ تنوحُ وراءَ الظلالِ  
وعُواءُ الذئابِ وراءَ الجبالِ  
كصُراخِ الأسي في قلوبِ البشرِ  
عُدُّ بنا فعلى المنحدرِ  
شَبَّحُ مكفهرٌ حزينُ  
تركتُ قَدَماءَ على كلِّ فجْرِ أثرُ  
كلُّ فجْرِ تقضى هنا بالآسى والحنينِ  
شَبَّحُ الغربةِ القاتله  
فى جبال الشمال الحزين  
شَبَّحُ الوحدةِ القاتلة

في السَّمَالِ الحَزِينِ  
 عَدُّ بَنَا قَدْ سَمْنَا الطَّوْافِ  
 فِي سُفُوحِ الْجِبَالِ وَعُدْنَا نَخَافُ  
 أَنْ تَطُولَ لِيَالِي الْغِيَابِ  
 وَيَغْطِيَّ عَوَاءُ الذَّنَابِ  
 صَوْتَنَا وَيَحْزُنْ عَلَيْنَا الْإِيَابِ  
 عُدُّ بَنَا لِلجَنُوبِ  
 فَهَنَّاكَ وَرَاءَ الْجِبَالِ قُلُوبِ  
 عُدُّ بَنَا لِلَّذِينَ تَرَكْنَاهُمْ فِي الضَّبَابِ  
 كُلُّ كَفٍّ تَلَوَّحُ فِي لَهْفَةٍ وَكِتَابِ  
 كُلُّ كَفٍّ فَوَادِ  
 عُدُّ بَنَا يَا قَطَارُ ، سَمْنَا الطَّوْافِ وَطَالَ الْبَعَادِ  
 وَهَنَّاكَ هَمْسٌ عَمِيقُ  
 لَانْغَ خَلْفَ كُلِّ طَرِيقِ  
 فِي شَعَابِ الْجِبَالِ الضِّخَامِ  
 وَرَاءَ الْغَمَامِ

في ارتعاشِ الصُّنوبرِ ، في القريةِ الشاحبه ،  
 في عَوَاءِ ابنِ آوى ، وفي الانْجُمِ الغاربه ،  
 في المراعي هنالكَ صوتٌ شَرُودٌ  
 هامسٌ أن نعودُ  
 فهناكَ بيوتٌ أُخرُ  
 ومراعٍ أُخرُ  
 وقلوبٌ أُخرُ  
 وهناكَ عيونٌ أبتُ أن تنامُ  
 وأكفٌ تَضُمُ الدُّجَى في اضطرامِ  
 وشفاهُ تردّدُ أسماءنا في الظلامِ  
 وقلوبٌ تُصْبِحُ لأقدامنا في وُجُومِ  
 وتنادي النجومِ  
 في أسيٍّ وسُكونٍ :  
 «ومتى يا نجومُ سيذكرُنَا الهاربونُ ؟ »  
 « ومتى يَرجعونُ ؟ »

لحظةً ، سنعودُ

لن يرانا الدُّجَى هاهنا ، سنعودُ

سنعودُ ، سنطوي الجبالُ

ورُكَّامَ التلالِ

لن ترانا ليالي الشمالِ

ها هنا من جديدُ

لن يحسَّ الفضاءُ المديدُ

نارَ آهاتِنَا في المساءِ الرهيبِ

في سكونِ المساءِ الرهيبِ



عُدْ بنا يا قطارَ الشمالِ

فهناك وراءَ الجبالِ

الوجوهُ الرقاقُ التي حَجَبَتْهَا الليالِ

عُدْ بنا ، عُدْ إلى الأذرعِ الحانيةِ

في ظلالِ النخيلِ

حيثُ أيامُنَا الماضيه

في انتظارٍ طويلٍ  
وقفتُ في انتظارٍ  
تتحرّى رجوعَ الفطارِ  
لتسيرَ مع السائرين  
حيثُ أيامنا تسألُ العابرينُ  
واحداً ، واحداً ، في حنين  
«ومتى عودةُ الهارين ؟»



لنعدُ فهناك نشيدٌ قديمٌ  
حولنا هامسٌ بالرجوعِ  
ما أحبُّ الرجوعِ  
بعد هذا الطوّافِ الأليمِ  
في جديبِ الشّعابِ  
حيثُ تعوي الذئابُ  
لنعدُ ، فالدُّجى باردٌ كالجليدِ  
وهناك خلفَ الفضاءِ البعيدِ



أذرعُ دافئه

لنعدُ بالجلالُ تكشّرُ عن ليلها المظلم

وهنالك خلف الدجى المبهم

صوتُ أحبابنا ، في الظلام السحيق

نابضاً بالحنين العميق

صوتهم مثقلاً بالعتاب

صوتهم ردّته الشعاب

صوتهم في سكون المكان

دائرُ كالزمان

لنعدُ قبل أن يقضي الأفقوان

بفراقٍ طويلٍ ، طويل

عن ظلال النخيل

عن أعزّائنا خلف صمت القفار

عد بنا يا قطار

فالليالي قصار

وهنالك أحبابنا في أسيّ وانتظار

## ١٩ - ذكريات

كَانَ لَيْلٌ ، كَانَتْ الْأُنْجُمُ لُغْزًا لَا يُحَلُّ  
كَانَ فِي رُوحِي شَيْءٌ صَاغَهُ الصَّمْتُ الْمَلُّ  
كَانَ فِي حَسِّي تَخْدِيرٌ وَوَعْيٌ مَضْمَحْلٌ  
كَانَ فِي اللَّبْلِ جُمُودٌ لَا يُطَاقُ  
كَانَتْ الظُّلْمَةُ أَسْرَارًا تُرَاقُ  
كَنتُ وَحْدِي لَمْ يَكُنْ يَتَّبِعُ خَطْوِي غَيْرُ ظَلِي  
أَنَا وَحْدِي ، أَنَا وَاللَّيْلُ الشَّتَائِيُّ . . . وَظَلِي



لَمْ أَكُنْ أَحْلُمُ لَكِنْ كَانَ فِي عَيْنِي شَيْءٌ  
لَمْ أَكُنْ أَبْسُمُ لَكِنْ فِي رُوحِي ضَوْءٌ  
لَمْ أَكُنْ أَبْكِي وَلَكِنْ كَانَ فِي نَفْسِي نَوءٌ  
مَرَّ بِي تَذْكَارُ شَيْءٍ لَا يُحَدُّ  
بَعْضُ شَيْءٍ مَا لَهُ قَبْلٌ وَبَعْدٌ

ربّما كانَ خيالاً صاغهُ فِكْرِي وَليلي  
وتلفتُ ولكنْ لم أقابلْ غيرَ ظلي



كان صمْتُ راکدٌ حولي كصمْتِ الابدیه  
ماتت الاطيارُ أو نامتْ بأعشاشٍ خفيّة  
لم یکنْ یَنطِقُ حتّى الرغباتُ الادمیة  
غیرَ صَوْتِ رنٍّ فی سَمْعی وغابا  
لحظةً لم أدْرِ حتّى أينَ غابا

آه لو أدركتُ من القاءٍ فی الصمْتِ المملّ  
أتراني لم أکنْ أمشي أنا وحدي وظلي ؟  
كانتِ الظلمةُ تمتدُّ إلى الأفقِ الغریبِ  
كلُّ شيءٍ مغرَقٌ فیها کقلبي ، کشُحُوبي  
ظلمةٌ ممتدةٌ کالوهم ، کالموتِ الرهیبِ  
غیرَ ضوءٍ خاطفٍ مرٍّ بجفني  
لحظةً لم تَدْرِ ماذا كانَ ، عيني  
كانَ ضوءٌ لوئهُ لونُ خیالٍ مضمحلّ

مرّ بي لمُحاً وأبقاني أنا وحدي وظلي  
كان في الجوّ الشتائي ارتعاشٌ وجمودُ  
جمدَ الظلّ من البرد وغشاه الرُّكودُ  
ليلةٌ يرجفُ في أجوائها حتيّ الجليدُ  
غيرَ دفءٍ طاف في قلبي الوجيع  
فزتُ فيه من شتائي بربيع  
وإذا في عمق قلبي فرحةُ الفجر المطلّ  
غيرَ أني كنتُ في الليلِ أنا وحدي وظلي  
كانَ في روحي فراغٌ جائعٌ كاللّانهايه  
كانَ ظلي صامتاً لا لحنَ لا رجعَ حكايه  
باهتاً يتبعُ مسرّى خطّواتي دونَ غايه  
غيرَ كأمسٍ عبّرت حينَ صرّختُ  
قطرةً واحدةً ثم ارتويتُ  
أتراهُ كانَ أكذوبةً إحساسي المُضللُ  
أو ما كنتُ أنا وحدي مع الليلِ وظليّ ؟



كان قلبي مُتعباً يسكنه حُزنٌ فظيعُ  
رقصتُ فيه وشدته إلى الجرح دُموعُ  
صورٌ في قعره يصبغُ مرآها النجيع  
كانَ ، لكنْ يداً مرّت عليه  
حملتُ بعضَ تحاياها إليه  
باركتُ آلامه السوداءَ كانتْ يدُ طفلٍ  
أىُّ طفلٍ ؟ لم يكنْ في الليلِ غيري غيرَ ظلي

١٩٤٨

## ٢٠ - دعوة إلى الانحلام

تعال لنحلّم ، إنّ المساء الجميلَ دنا  
ولينُ الدُّجَى وخذودُ النُّجومِ تُنادي بنا  
تعال نصيّدُ الرّؤى ، ونُعَدّ خُيوطَ السّنا  
ونُشهدُ منحدراتِ الرّمالِ على حبّنا



سنمشي معاً فوق صدرِ جزيرتنا الساهده  
ونبقى على الرّمْلِ آثارَ أقدامنا الشاردة  
ويأتى الصّباح فيُلقي بأندائه الباردة  
ويُنبتُ حيثُ حلّمنا ولو وردةً واحدة



سنحلّمُ أنا صعدنا نرود جبالَ القمرِ  
ونمرحُ في عزلةِ اللانهاية واللابشرِ

بعيداً . بعيداً . إلى حيثُ لا تستطيعُ الذكرُ  
إلينا الوصولَ فنحن وراءَ امتدادِ الفكرِ



سنحلمُ أنا استَحَلْنَا صَبِيَّينَ فوقَ التلالِ  
بريئينِ نركضُ فوقَ الصُّخُورِ ونرعى الجِمالِ  
شريدَيْنِ ليسَ لنا منزلٌ غيرَ كوخِ الخيالِ  
وحيثُ ننامُ نمرِّغُ أجسامنا في الرِّمالِ



سنحلمُ أنا نسيرُ إلى الأَمْسِ لا للغدِ  
وأنا وَصَلْنَا إلى بَابِلَ ذاتِ فَجْرِ نَدِ  
حَبِيَّينَ نَحْمِلُ عَهْدَ هَوَانَا إلى المَعْبَدِ  
يُـبَارِكُنَا كَاهِنُ بَابِلَ نَقَى اليَدِ

١٩٤٨ - ٩ - ٢٨

## ٢١ - طريق العودة

نعودُ إذنُ في الطريقِ الطويلِ  
تُواجهنا الأوجهُ الجامده  
يواجهنا كل شيءٍ رأيناه منذ قليلٍ  
كما كان في ركدةٍ بارده  
نعودُ إذن ، لا ضياءٌ ينير  
لأعيننا الخامدة  
نسير ونسحب أشلاء حُلُمٍ صغيرٍ  
دفنناه بعد شبابٍ قصيرٍ



نعودُ وهذا طريق الإيابِ  
يُحدُّ مرارته ورتابة أسرارهِ  
نسير ويبرزُ بابُ  
هنا ، وجدارٌ هناك يسدُّ الطريقُ  
بأحجارهِ



وَلَمْ سِيَّاحٌ عَتِيقٌ ،  
 تَهْدَمُ عِنْدَ النَّهْرِ  
 وَعَابِرَةٌ ، دُونَ مَعْنَى تُمُدِّ الْبَصَرِ  
 إِلَى حَيْثُ لَا نَعْلَمُ ،  
 تُمَرَّبُنَا ، لَا تُفَكِّرُ فِينَا  
 وَنَنْسَى وَلِجَهْلٍ أَنَا نَسِينَا  
 وَلَا نَفْهَمُ



نَعُودُ إِذْنٌ فِي طَرِيقِ الْإِيَّابِ الْمُرِيرِ  
 وَكُنَّا قَطْعَنَاهُ مِنْذُ رَمَانٍ قَصِيرِ  
 وَكُنَّا نَسْمِيهِ ، دُونَ ارْتِيَابٍ ، طَرِيقَ الرِّوَّاحِ  
 وَنَعْبُرُهُ فِي ارْتِيَابٍ :  
 يُمُدُّ لَنَا كُلَّ شَيْءٍ نَرَاهُ يَدَا  
 يَكَادُ يُعَانِقُنَا وَيَصُبُّ عَلَيْنَا غَدَا  
 دَفَاقُهُ نَسَجَتُهَا الْمُنَى .  
 وَكُنَّا نُسْمِيهِ . دُونَ ارْتِيَابٍ ، طَرِيقَ الْأَمَلِ

فما لشذاه أَقْلَ ؟

وفى لحظةٍ عاد يُدعى طريقَ المللِ ؟

وعُدنا نسير ويُسلمنا المُتحنى

إلى آخرِ ضيقٍ

ويدفعنا كلُّ شئٍ نراه

إلى ياسنا المُطبِقِ

ونشعرُ أَنَا ضَجَرْنَا ضَجَرْنَا وعَفْنَا الحياه

وعُدنا نُمجّ الحياه .



لماذا نعود ؟

أليسَ هناك مكانٌ وراءَ الوجودِ

نظّلُ إليه نسيرُ

ولا نستطيع الوصولَ ؟

مكانٌ بعيدٌ يقودُ إليه طريقٌ طويلٌ

يظَلّ يسير يسيرُ

ولا ينتهى ، ليسَ منه قُقولُ

هناك لا يتكرر مشهد هذا الجدار  
ولا شكل هذا الرواق  
ولا يرسل النهر في ملل نغمة لا تُطاق  
نُصيخ لها في احتقار  
لأن الطريق طريـبُ الرجوع  
لأننا بلغنا نهاية درب الرواح  
وأصبح لأبد من أن ندوق الجراح  
ونحن نسير ونقطع درب الرجوع  
ونذرعه بالدموع



الأبد من أن نشوب  
وتدفعنا خلجات المرارة دون حلم ؟  
الم ينطفئ كل حلم كدوب  
وها نحن نعلم أننا بلغنا القمم ؟  
وسرنا على أوجها مرة ، ثم حان الإياب  
وعُدنا نُجر قيود الألم

ونُدرك كيف تغيَّر حتَّى الترابُ  
تغيَّر حتَّى الطريقُ  
وأصبح يرفُضُنَا فى ملالٍ وضيق  
وعاد يصبُّ علينا جُمُوداً عميق .



وعُدْنَا نسيرُ  
نُجْرُ أحاسيسنا الراكده ،  
وتصدُّمُنَا الأوجه الجامده .  
نسيرُ ، نسيرُ ،  
نحدِّق فى أى شئ نراه ،  
بهذا السياج المهْدَم أو بسواه  
نحدِّق ، لا رغبةً فى النظرُ  
ولكن ... لأنَّ لنا أعينا .  
نعلّق ، لا شوقَ يُغْرِى بنا  
ولكن لأننا سئمنا السكونَ المخيفُ  
ووقعَ خطانا الرتبات فوق الرصيفُ

ستمنا فأين المفرّ ؟  
ولابدّ من أن نعود  
فليس هناك مكانّ وراء الوجود  
نظلّ إليه نسير  
ولا نستطيع الوصول

١٥ - ٣ - ١٩٤٩

## ٢٢ - يحكى أن حفارين

الزمان يسيرُ

بدقائقه المبطّاتِ الثقالُ

ساحباً خلفه عرَباتِ الليالِ

مُثْقَلاتٍ بأسرارها الداكناتِ

الزمانُ يسيرُ ، يجرُّ الحياهُ

وهناك ، فوقَ بساطِ الرمالِ

حيثُ خلّفَتِ العرَباتِ

أثراً من خُطى العجلاتِ

لم نَزَلْ نحنُ ، فى كلِّ كَفٍّ قَدُومٌ ،

لم نَزَلْ نحفرُ الارضَ فى وحشةٍ ووجومِ

نحنُ نبكى هنا

والزمانُ يسيرُ

نَحْفِرُ الْأَرْضَ ، نَبْحَثُ عَمَّا أَضَعْنَا هُنَا  
وَالزَّمانَ يَسِيرُ



وَحَدَّنَا ، وَحَدَّنَا ، فِي سَكُوتٍ  
صَامِتَيْنِ نُرَاقِبُ كَيْفَ تَمُوتُ  
فِي يَدَيْنَا وَفِي مَقْلَتَيْنَا الْعُرُوقُ  
وَهُنَاكَ يَنْتَظِرُ الْحَيَّ خَلْفَ التُّرَابِ  
فِي أَسَىٍّ وَعَذَابٍ  
أَنْ يُظَلَّ شُرُوقُ  
أَنْ يَرَانَا أَخِيرًا بِأَحْيَتِنَا الْكَابِيَةِ  
نَعْبِرُ الْهَاقِيَةَ  
لِنُعِيدَ إِلَيْهِ الشَّبَابَ  
ذَلِكَ الْحَيَّ فِي الظُّلُمَاتِ  
أَهْ لَوْ لَمْ تَمُتْ فِي يَدَيْنَا الْعُرُوقُ  
لُنُعِيدَ إِلَيْهِ الْحَيَاةَ



«إحفر الآن وحدك . . ما عُدَّت أقوى أنا  
 «إحفر الأرض وحدك . . إني أحسن الفناء  
 «ملء كفى وملء ذراعى ، أحسن الرجاء  
 «يتلاشى بعيداً وراء مدى المنحنى  
 «حيث مرّ الزمان بنا  
 «منذ بضع مئات السنين  
 «وغداً سيمرّ بنا من جديد  
 «فيراك لوحداً تحفر فى حَسرةٍ وحنين  
 «سيمرّ وتحفرُ أنتَ ركامَ الجليد  
 «فى الثرى ، فى عروقى أنا



ثم يأتى زمان  
 وتدبّ الحرارة فى الجسدِ الجامدِ  
 جسدِ الرجلِ الحى فى قبره الباردِ  
 وهنالك تحت الدجى مِيتان  
 جامدانِ كلوح جليدٍ ،



ويعرّ الزمان العنيدُ

بهما من جديدُ

فيرى فيهما صاحبيْنُ

طلما حَفَرَا في الترابُ

حَفَرَا في الضَّبَابُ

ربّما حَفَرَا في شُحُوبِ الخريفُ

أو عبُوسِ الشتاءِ المخيفُ

طلما شوهدا يحفرانُ

يحفرانِ ، يظَلَّانِ في لهفَةٍ يحفرانُ

وهما الآنَ ، فوقَ الشَّرَى ، ميّتانُ



والزمان يسيرُ

ويجرّ رفاتَهُما في الرمالُ

ويرى الرجل الميتَ الحَيَّ يطوى الليالُ

شارداً مفرداً  
لم يَعدْ يحتويه مكانٌ  
أو زمانٌ  
إنَّه قد أضاع الغدا  
وتبقى له الأمس والميتان  
... واستمرَّ يسير الزمان ...

١٩٤٩/١/٢٤

## ٢٣ - صلاة الأشباح

تململتِ الساعةُ الباردة  
على البرج ، فى الظلمة الخامده  
ومدّتْ يداً من نُحاسٍ  
يداً كالأساطير بوذا يحركُها فى احتراسٍ  
يدَ الرَّجلِ المتَّصبِ  
على ساعة البرج ، فى صمته السرمديّ  
يحدّقُ فى وجْمة المكتئبِ  
وتقدِفُ عيناهُ سَيْلَ الظلامِ الدَجِيّ  
على القلعةِ الراقده  
على الميَّتين الذينَ حيَّوْنُهُمُ لا تموتُ  
تظَلّ تحدّقُ ، ينطقُ فيها السكوتُ  
وقالتْ يدَ الرَّجلِ المتَّصبِ :  
« صلاةٌ ، صلاه ا »



ودبتُ حياه

هناك على البرج ، فى الحرَسِ المتعينُ

فساروا يجرّونَ فوق الثرى فى أناه

ظلالُهُمُ الحانياتِ التى عَقَفَتْها السنينُ

ظلالُهُمُ فى الظلامِ العميقِ الحزينُ

وعادتُ يدُ الرجلِ المنتصبُ

تُشيرُ : «صلاةٌ» ، صلاة ! »

فيمتزجُ الصوتُ بالضجّةِ الداوية ،

صدى موكبِ الحرَسِ المقترِبُ

يدُقُّ على كلِّ بابٍ ويصرخُ بالنائمينُ

فيبرزُ من كلِّ بابٍ شبحُ

هزيلُ شَحِبُ ،

يجرُّ رَمَادَ السنينِ ،

يكاد الدُجى يتتحبُ

على وَجْهِهِ الجُمُجُمى الحزينُ



وسار هنالك موكبهم في سكون  
يدبون في الطرقات الغريبة ، لا يذكرون  
لماذا يسرون ؟ ماذا عسى أن يكون ؟  
تلوت حوالبهم ظلمات الدروب  
أفأعى راحفة ونيوب  
وساروا يجرون أسرارهم في شحوب  
وتهمس أصواتهم بنشيد رهيب ،  
نشيد لذاك الإله العجيب  
وأغنية ليد الرجل المتصب  
على البرج كالعنكبوت  
يد من نحاس  
يحركها في احتراس  
فترسل صيحتها في الدياجي

« صلاة ، صلاة »



وفى آخر الموكب الشَّحَى المَخِيفُ

رأى حارسُ شَبَّحِينَ

يسيرانِ لا دُرْكانَ متى كانَ ذاكَ وأين ؟

تَحَزُّ الرِّياحُ ذراعَيهما فى الظلامِ الكثيفُ

وما زال فى الشَّبَحِينَ بقايا حياه

ولكنَّ عَينَيهما فى انطفاءِ

ولفظُ « صلاةٌ ، صلاه »

يَضِجُ بِسَمْعَيهما فى ظلامِ المساءِ



« أَلستَ ترى »

« خُذْهُما ! »

ثم ساد السكون العميق

ولم يَبْقَ من شَبَّحٍ فى الطريقِ



وفى المَعْبَدِ البرَّهْمَى الكبيرِ

وحيثُ الغموضُ المُثِيرُ

وحيثُ غرابَةٌ بوذا تُلَفّ المكانُ  
 يُصَلِّي الذينَ عيونُهُم لا تموتُ  
 ويرقُّبُهُم ذلكَ العنكبوتُ  
 على البرجِ مستغرقاً في سكوتٍ ،  
 يشيرُ بكفِّهِ ملءَ المكانِ  
 فيرتفعُ الصوتُ ضخماً ، عميقَ الصدى ، كالزَّمانِ  
 ويترجفُ الشَّبَحانُ



« من القلعةِ الرطبةِ الباردة  
 ومن ظُلُماتِ البيوتِ  
 من الشُّرفِ الماردهِ  
 من البرجِ ، حيثُ يدُ العنكبوتِ  
 تشيرُ لنا في سكوتٍ  
 من الطرقاتِ التي تَعْلِكُ الظُّلْمَةُ الصامتهِ  
 أتيناكِ نسحبُ أسرارنا الباهتهِ  
 أتيناكِ ، نحن عبيدُ الزمانِ

« وأسْرَاهُ نَحْنُ الَّذِينَ عَيُونُهُمْ لَا تَمُوتُ  
 « أَتَيْنَا نَجْرَ الْهَوَانِ  
 « وَنَسْأَلُكَ الصَّفْحَ عَنْ هَذِهِ الْأَعْيُنِ الْمُذْنِبَةِ  
 « تَرَسَّبَ فِي عُمُقِ أَعْمَاقِهَا كُلُّ حَزَنِ السَّنِينِ  
 « وَصَوْتُ ضَمَائِرِنَا الْمُتَعَبَةِ  
 « أَجْشَ رَهَيْبُ الرَّئِينِ  
 « أَتَيْنَاكَ يَا مَنْ يَذُرُّ السُّهَادَ  
 « عَلَى أَعْيُنِ الْمُذْنِبِينَ  
 « عَلَى أَعْيُنِ الْهَارِبِينَ  
 « إِلَى أَمْسِهِمْ لِيَلُودُوا هُنَاكَ بِتَلٍّ رَمَادٍ  
 « مِنَ الْغَدِ ذِي الْأَعْيُنِ الْخُضِرِ . يَا مَنْ نَرَاهُ  
 « صَبَاحَ مَسَاءٍ يَسُوقُ الزَّمَانَ  
 « يَحْدَقُ ، عَيْنَاهُ لَا تَغْفَوَانِ  
 « وَكَفَّاهُ مَطْوِيَّتَانِ  
 « عَلَى أَلْفِ سِرٍّ . أَتَيْنَا نُمِرْغَ هَذِي الْجَبَاهِ  
 « عَلَى أَرْضٍ مَعْبِدَةٍ فِي خُشُوعٍ



« تُناديه ، دونَ دموعٍ ،  
 « ونصرخ : آه !  
 « تعبنا فدعنا ننامُ  
 « فلا نسمع الصوتَ يَهْتَفُ فينا : « صلاه ! »  
 « إذا دَقَّتْ اساعةُ الثانيه ،  
 « ولا يطرق الحرس الكالحونُ  
 « على كل بابٍ بأيديهم الباليه  
 « وقد أكلتها القُرونُ  
 « ولم تُبقِ منها سوى كومةٍ من عظامُ  
 « تعبنا . . . فدعنا ننامُ . .  
 « ننامُ ، وننسى يد الرجل العنكبوتُ  
 « على ساعة البرج . تنشرُّ فوق البيوتُ  
 « تعاوِذَ لعنتِها الحاقده  
 « حنانك بوذا ، على الاعينِ الساهده  
 « ودعها أخيراً تموتُ .



وفى المَعبد البرهمى الكبيرُ

تحركَ بوذا المُشيرُ

ومدَّ ذراعِيَه للشَّبَحِينِ

يُباركُ رأسِيهما المُتَعِينِ

ويصرُخُ بالحَرَسِ الأَشَقِياءِ

وبالرَّجُلِ المُنتَضِبِ

على البَرَجِ فى كِبَرِياءِ :

« أَعْيِدُوهُمَا ! »

ثم لَفَّ السَّكُونُ المَكَانَ

ولم يَبْقَ إِلَّا المَسْأَلُ ،

وبوذا ، ووجَّهَ الزَّمَانَ

١٩٤٩

## ٢٤ - الوصول

سأحبّ نفسي في ارتعاش ظلالها تحيى عصورُ  
ملأى باللوانِ الخيالُ

وهناك في أحنائها ألقى الجمالُ  
وعوالمًا نجميةً الإشراقِ مُسكرةً العطورُ  
وهناك كم لونٍ ترسّب في كتوس الذكرياتِ  
كم قصّةٍ نامتْ وغطّت سرّها خلفَ الشُّعورِ  
كم خطفةٍ من طيفٍ حُبّ عاش حيناً ثم ماتُ  
كم نغمةٍ في ذاتِ صيفٍ ، عندما كان المساءُ  
مشاقلاً نعسانً ، في بعض القرى  
وأنا أغنيها وأرقّب في ارتخاءِ  
ظلّ النخيلِ على الثرى .



سأحبّ نفسي ، في صفاء ظلالها أجدُ الصفاءُ  
طال التغرّبُ والتلالُ تلوّنتْ بدمِ الغروبِ

حتى النهار أوى إلى سرر المساء  
لم يبقَ جوالٌ سوايَ أنا وقلبي في السهوب  
لم يبقَ إلانّا وآهاتُ المداخنِ من بعيدٍ  
وكأبةُ الليلِ الجديدِ



ولقد وصلنا . ها هنا يحيا الجمالُ ،  
والدفءُ ، والشمسُ الأنيقةُ . والسكونُ ،  
والإمتدادُ وعالمٌ يسعُ القُرُونُ  
بحرٌ من الألوانِ يخلقهُ الخيالُ  
وتموجُ فوق مداهِ آلافُ الظلالِ



يا صمتَ نفسي عدتُ عدتُ إليك بعد سُرَى سنين  
ضاقَت بتطوافي البحارِ  
وشكا النهارُ  
ما حملته رِزايَ من عبءِ الحنينِ  
لم ألقَ غيركَ لى نصيرا

فى ظلمة الليل المُضِلُّ  
فافتح لى البابَ الآخرَا  
دعنى أمرُّ

... أنا وظلُّى ...

٦/٣/١٩٥١

الولايات المتحدة



## ٢٥ - الأرض المحجة

صَوَّرُوهَا جَنَّةً سَحَابِيَّةً  
مِنْ رَحِيْقٍ وَوَرُودٍ شَفَقِيَّةٍ  
وَأَرَاقٍ فِي رِيَاهَا صُورًا  
مِنْ حَنَانٍ ، وَتَسَايِيحٍ نَقِيَّةٍ  
ثُمَّ قَالُوا إِنَّ فِيهَا بَلَسْمًا  
هِيَئَتُهُ لَجَرَّاحِ الْبَشَرِيَّةِ  
وَأَرَدْنَاهَا فَلَمْ نَنْظُرْ بِهَا  
وَرَجَعْنَا لِأَمَانِينَا الشَّقِيَّةِ



الْمَلَائِكَةُ عُمُومٌ ظَمِيمَتُ  
عِزٍّ أَنْ تَمْلِكَ سُلُوكٌ وَاحِدُهُ  
وَالْمَلَائِكَةُ شَفَقَاءُ عَطِشَتِ  
لَيْسَ تُرْوِيهَا الرُّعُودُ الْبَارِدَةُ

ذلك المشعلُ هاتوهُ فقد  
أكلَ الليلُ العيونَ الساهده  
وأمرّوه على أشباحنا  
لترَوَا لَوْنَ دمانا الجامده



عُمرُنا كان طريقاً مُعثِماً  
فأنيروهُ إلى القبرِ أخيراً  
وصبانا كان جُرحاً ساهداً  
يشربُ الملحَ ويقتات السعيراً  
وأغـانينا رَصَفَناها أَسَى  
وسقَفَناها غَيَوماً وهجيراً  
وهوَأنا والمَنى بعناهمْ  
واشترينا بهما حُزناً كثيراً





أين ذاك النبع ؟ فى أى ضحى  
 سنلأفسيه ؟ وفى أية ليلة ؟  
 لم نزل نحفر فى أعمارنا  
 ظلمات ليس فيها طيفُ شعله  
 وزحفنا وجررنا معنا  
 ألف قيد فى الأكف المضمحلة  
 ووجدنا دربنا مقبرة  
 ما لنا فيها سوى الموتى أدله



حدثونا عن رخاء ناعم  
 فوجدنا دربنا جوعاً وعُرياً  
 وسمعنا عن نقاء وشذى  
 فرأينا حولنا قبحاً وخزياً  
 ورتعنا فى شقاء قاتل  
 وكفانا بؤسنا شبعاً ورياً



وعسرينا وكسونا غيرنا  
وكسبنا القيدَ والدمعَ السخياً



أين تلك الأرضُ ؟ مَنْ حَجَّهَا ؟  
نحنُ شَدْنَاهَا بِرَنَاتِ الْفُئُوسِ  
وأَجَعْنَا فِي الدَّجَى أَطْفَالَنا  
لنَغْذِيهَا وَجُدْنَا بِالنَّفُوسِ  
وَزَرَعْنَا وَحْـــــصَدْنَا عُمُرَنَا  
وَجَنَيْنَا ظِلْمَةَ الدَّهْرِ الْعَبُوسِ  
وَسَقَيْنَا أَرْضَهَا مِنْ دَمِنَا  
وَمَنَحْنَاهَا لِأَرْبَابِ الْكُئُوسِ



أين تلك الأرضُ ؟ هل حَانَ لَنَا  
أَنْ نَرَاهَا أَمْ سَتَبْقَى مُغْلَقَةً ؟  
لَمْ تَزَلْ فِينَا حَنِيناً صَامِتاً

وابتهالا في شفاه مطبقه  
والملايين حنين جارف  
يتلظى ورؤى محترقه  
افتحوا الباب فقد بنا  
صوت آلاف الضحايا المرهقه



صوتهم خشنه البؤس فما  
فيه دفء أو بريق أو ليونه  
وحشاه الذمع ملحا قاسيا  
وشكايات وجوعا وخشونه  
صوتهم خالطه الصبر وكم  
قد صبرنا في شحوب وسكينه  
لعنة الحس علينا إن يكن  
غدنا كالأمس أقيادا مهينه !

١٩٥٢/٥/١١



الفهرس



٧	تصليد
٩	شجرة الذكرى
١٣	السفر
١٦	مرثية غريق
٢٢	عاشقة الليل
٢٦	خواطر مسائية
٣٠	فى وادى العبيد
٣٥	ذكريات محوة
٤١	إلى الشاعر كيتس
٤٦	جحود
٤٩	جامعة الظلال
٥٣	خرافات
٥٨	مرثية يوم تافه
٦٢	غرباء
٦٥	الأفعوان
٧٠	الباحثة عن الغد
٧٣	الجرح الغاضب
٧٧	مر القطار
٨٢	فى جبال الشمال
٨٨	ذكريات
٩٢	دعوة إلى الأحلام

٩٤	طريق العودة .....
١٠٠	يحكى أن حفارين .....
١٠٥	صلاة الأشباح .....
١١٣	الوصول .....
١١٦	الأرض للحجبة .....



---

رقم الإيداع : ١٠٧٩٠ / ٩٩

الترقيم الدولي : x - 6366 - 01 - 977

---

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب





المعرفة حق لكل مواطن وليس للمعرفة سقف ولا حدود  
ولا موعد تبدأ عنده أو تنتهى إليه.. هكذا تواصل مكتبة الأسرة  
عامها السادس وتستمر فى تقديم أزهار المعرفة للجميع. للأطفال  
- للشباب - للأسرة كلها. تجربة مصرية خالصة يعم فيضها ويشع  
نورها عبر الدنيا ويشهد لها العالم بالخصوصية وما زال الحلم  
يخطو ويكبر ويتعاظم ومازلت أحلم بكتاب لكل مواطن ومكتبة  
لكل أسرة... وأنى لأرى ثمار هذه التجربة يانعة مزدهرة  
بأن مصر كانت ومازالت وستظل وطن الفكر المتحرر و  
والحضارة المتجددة.

Bibliotheca Alexandrina



0333889

سوزان مبارك



مكتبة الأسرة

1999  
مهرجان القراءة للجميع